ذِكر أيّام العرب في الجاهلية[1]

لم يذكر أبو جعفر من أيّامها غير يوم ذي قار، وجُذَيْمة الأبرش، والزبّاء، وطَسْم، وجَديس، وما ذكر ذلك إلّا حيث أنّهم ملوك، فأغفل ما سوى ذلك. ونحن نذكر الأيّامَ المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمعٍ كثير وقتال شديد، ولم أعرّج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير، لأنّه يكثُر ويخرج عن الحصر، فنقول، وبالله التوفيق:

ذكر حرب زهير بن جَنَاب[2] الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين

كان زُهَيْر بن جَنَاب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة الكلبيّ أحد مَن اجتمعت عليه قُضاعةُ، وكان يُدْعَى الكاهن لصحّة رأيه، وعاش مائَتَيْن وخمسين سنة، أوقع فيها مائتَيْ وقعة.

وقيل: عاش أربعمائة وخمسين سنة[3]، وكان شجاعاً مظفّراً ميمون النقيبة.

(١) هذا الموضوع من هنا حتى آخر المجلّد ليس في تاريخ الطبري. وقد انفرد المؤلّف هنا بعرضه الموسّع لأيام العرب. وهذا يدلّ على أنه لم يتقيّد بمتابعة الطبري دون أن يَسِم كتابه بمنهجيّته الخاصّة.

(٢) أنظر عنه: «المحبّر لابن حبيب ٢٥٠ و ٤٧١، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/١٩، وجمهرة أنساب العرب ٤٥٦، ٤٥٧، نسب قريش ٢٠٧، المؤتلف والمختلف للآمدي ١٣٠، المزهر ٢/٤٧٥، طبقات الشعراء لابن سلام ٣٠، معجم الشعراء للمرزباني ١٣٠، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٢٣، رسالة الغفران ٣٥٤، الاشتقاق لابن دُريد ٢٥٩، الأغاني ٥/١١٨، و ١٩/١٥، أخبار المعمَّرين للسجستاني ٢٧ - ٢٩، المفضّليات ١١٧، أمالي المرتضى ١/٢٤٠، معجم ما استعجم ٢/٤٩٦، لسان العرب (طبعة صادر) ١٤/٢١٦ و ٣٨٥، الإصابة لابن حجر ٢/٢٤٩ رقم ٤٤٢٣، تاريخ الآداب العربية لكارلو نالينو ٨٢، المفصّل في تاريخ العرب للدكتور جواد علي (أنظر فهرس الأعلام ١٠/١٠٨)، القاموس الإسلامي ٣/١١٨ Encyclopedia of islam – II, P. 688, IV, P. 1237.

(٣) من نافلة القول أننا لا يمكن أن نعَوّل على هذا القول. ويُلاحَظ لنا أنّ أخبار الجاهليين بشكل خاصّ يكتنفها المبالغة، وعدم الدّقة في المعلومات والتواريخ، إذ ينقصهم التدوين في ذلك الوقت، ومن هنا جاءت المبالغة في أعمار الكثير من الجاهليّين، بحيث عُمِّر بعضهم مئات السنين. غير أنّ المبالغة الواقعة هنا ليست من ابتداع المؤلّف، فهو ينقل عن غيره، وأثبت هذه المعلومة دون نقدها، ولهذا اقتضى منّا التنويه.

وكان سبب غَزَاته غطفان أنّ بني بَغيض بن ريْث[1] بن غطفان حين خرجوا من تِهامة ساروا بأجمعهم، فتعرّضت لهم صُداء، وهي قبيلة من مَذْحِج، فقاتلوهم، وبنو بَغيض سائرون بأهليهم وأموالهم، فقاتلوهم عن حريمهم، فظهروا على صُداء وفتكوا فيهم، فعزّت بغيض بذلك، وأثرت وكثُرت أموالُها. فلمّا رأوا ذلك قالوا: والله لنتّخذنّ حرماً مثل مكّة لا يُقتَل صيده ولا يُهاج عائذُه، فبنَوا حرماً ووليه بنو مُرّة[2] بن عوف، فلمّا بلغ فعلُهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جَناب قال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ، ولا أخلّي غَطفَان تتّخذ حرماً أبداً. فنادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال: إنّ أعظم مأثرة يدّخرها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك، فأجابوه، فغزا بهم غطفانَ وقاتلهم أبرحَ قتالٍ وأشده[3]، وظفر بهم زهير، وأصاب حاجتَه منهم، وأخذ فارساً منهم في حرمهم فقتله وعطّل ذلك الحرم.

ثمّ مَنّ على غطفان، وردّ النساء وأخذ الأموال؛ وقال زهير في ذلك:

فلم تصبرْ لنا غطفانُ لمّا ... تلاقينا وأُحْرِزَتِ النساءُ
فلولا الفضلُ منّا ما رجعتم ... إلى عَذْراءَ شيمتُها الحَيَاءُ
فَدُونَكُمُ دُيُوناً فاطْلُبوها ... وأوْتاراً[4] ودونكُمُ اللِّقاءُ
فإنّا حيث لا يَخفى[5] عليكم ... ليوثٌ حين يحتضر[6] اللواءُ
فقد أضحى لحيّ بني جَنابٍ ... فضاءُ الأرض والماءُ الرَّواءُ[7]
نَفَيْنَا نَخْوَةَ الأعداء عنّا ... بأرماحٍ أسِنَّتُها ظِماءُ
ولولا صَبْرُنا يومَ التقينا ... لَقِينا مثلَ ما لَقِيَتْ صُداءُ
غداةَ تضرّعوا[8] لبني بَغيضٍ ... وصِدْقُ الطعن للنَّوْكَى[9] شِفاءُ[10]

وأمّا حربه مع بكر وتغلب ابنَيْ وائل، فكان سببها أنّ أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير، فأكرمه وفضّله على مَنْ أتاه من العرب، ثمّ أمّره على بكر وتغلب ابنَيْ وائل،

---

(١) في الأصل «نقيض بن ريب». (من نسخة Rawilinsonii وسأرمز إليها بحرف (ي).
(٢) في نسخة (ي) «قرة».
(٣) في نسخة (ي) «شديد».
(٤) في الأصل والنسخة (ب): «أوثارا»، وما أثبتناه عن الأغاني ١٩/١٦.
(٥) في الأغاني ١٩/١٦ «نخفى».
(٦) في مختار الأغاني «يهتصر».
(٧) في الأصل، ونسخة المتحف البريطاني (ت): «الرقاء».
(٨) في النسخة (ي): «تصرعوا»، وما أثبتناه عن الأغاني ١٩/١٧.
(٩) النَّوْكَى: جمع أَنْوَك، وهو الأحمق أو العاجز الجاهل، أو الكسول.
(١٠) الأبيات وغيرها في الأغاني ١٩/١٦، ١٧.

فوليهم حتّى أصابتهم سنةٌ، فاشتدّ عليهم ما يطلب منهم من الخراج، فأقام بهم زهير في الحرب، ومنعهم من النجعة حتّى يؤدّوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلمّا رأى ذلك ابن زَيّابة[1] أحد بني تَيْم الله بن ثعلبة، وكان فاتكاً، أتى زهيراً وهو نائم، فاعتمد التيميّ بالسيف على بطن زهير، فمرّ فيها حتى خرج من ظهره مارقاً بين الصِّفاق، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه، وظنّ التيميّ أنّه قد قتله، وعلم زهير أنّه قد سلم فلم يتحرّكْ لئلاّ يُجْهِز عليه، فسكت. فانصرف التيميّ إلى قومه، فأعلمهم أنّه قتل زهيراً، فسرّهم ذلك.

ولم يكن مع زهير إلاّ نفر من قومه، فأمرهم أن يُظْهروا أنّه ميت، وأن يستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه، فإذا أذِنوا دفنوا ثياباً ملفوفة، وساروا به مُجِدّين إلى قومهم، ففعلوا ذلك. فأذِنت لهم بكر وتغلِب في دفنه، فحفروا وعمّقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشكّ مَن رآها أنّ فيها ميتاً، ثمّ ساروا مجدّين إلى قومهم، فجمع لهم زهير الجموعَ، وبلغهم الخبرُ. فقال[2] ابن زَيابة[3]:

طَعْنَةً ما طعنتُ في غَلَس[4] الليـ ... ـل زهيراً وقد توافى الخصومُ
حين يحمي[5] له المواسمَ بكرٌ ... أين بكرٌ وأين منها الحُلُومُ
خانني السيف[6] إذ طعنتُ زهيراً ... وَهْوَ سيف[7] مضلَّل مشؤومُ[8]

وجمع زهير من قدر[9] عليه من أهل اليمن، وغزا بكراً وتغلب، وكانوا علموا به، فقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت [به] بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضاً، وأُسر كُلَيْب ومُهَلْهِل ابنا ربيعة، وأُخذت الأموال وكثُرت القتلى في بني تغلب، وأُسر جماعة[10] من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير في ذلك قصيدة:

أين أين الفِرار من حَذَر المو ... تِ إذا[11] يتّقون بالأسلابِ

---

(1) في النسخة (ي): «ريانة».
(2) في طبعة صادر ١/٥٠٤ «بن».
(3) في النسخة (ي): «ريانة».
(4) في الشعر والشعراء ١/٢٩٤ «غَيَس»، وفي الأغاني ١٨/١٩ «غَيَش» والمثبت يتفق مع المختار من الأغاني. وكل الألفاظ بمعنى الظُّلْمة.
(5) في الأغاني «تجبي»، وفي النسخة (ر): «يحمى».
(6) في الشعر والشعراء ١/٢٩٤ «الرمح».
(7) في الشعر ١/٢٩٤ «رمح».
(8) في النسخة (ب): «ميشوم».
(9) في النسخة (ي): «قدم».
(10) في النسختين (ي)و(ر): «والأسر بجماعة».
(11) في الأغاني ١٩/١٩ «وإذ».

إذ أَسَـرْنـا مُـهَـلْهِـلاً وأخـاه وابن عمرٍو في القيد[1] وابن شهابِ
وسبينـا من تـغلبَ كـلَّ بيضـا ءِ رَقـودِ الضُحَى بَـرودَ الـرُّضابِ
حين تَـدْعُـو مُهَلْهِــلاً[2] يـالَ بَكْـرٍ هـا أهـذِي حفيـظةُ الأحسـابِ
ويْحَكُم ويْحَكُم أُبيـح حِمـاكُـم يـا بني تغلبٍ أنـا ابـن رُضـابِ[3]
وهُـمُ هـاربـون فـي كـلِّ فَـجٍّ كشـريـدِ النَّعـامِ فَـوقَ الـرَّوابي
واستـدارتْ رُحَى المنـايـا عليهم بـلُيـوثٍ مِـنْ عـامـرٍ وجَـنـابِ
فَهُمُ بـين هـاربٍ لـيس يَـألُـوا[4] وقـتـيـلٍ مـعـفَّـرٍ فـي الـتـرابِ
فَضَـلَ العِـزُّ عِـزُّنـا حين نسمـو مثل فضلِ السمـاءِ[5] فوق السحـابِ

وأمّا حربه مع بني القَيْن بن جَسْر فكان سببها أنّ أختاً لـزهير كـانت متزوّجـة فيهم. فجاء رسولها إلى زهير ومعـه صرّة فيهـا رمل [6] وصـرّة فيها شـوك قَتَاد، فقـال زهير: إنّهـا تخبـركم أنّه يـأتيكم عـدوّ[7] كثيـر ذو شوكـة شديـدة، فاحتملوا. فقـال الجُـلاح بن عـوف السُّحَميّ[8]: لا نحتمل لقول امـرأة، فَظَعَنَ[9] زهيـر وأقام الجُـلاح، وصبّحه الجيش فقتلوا عامّة قوم الجلاح، وذهبوا بأموالهم وماله.

ومضى زهيـر فاجتمـع مع عشيـرته من بني جَنَـاب، وبلغ الجيشَ خبـرُه فقصـدوه، فقاتلهم وصبر لهم فهزمهم وقتل رئيسهم، فانصرفوا عنه خائبين[10].

ولمّا طال عمر زهير وكبِـرت سنّه استخلف ابنَ أخيـه عبد الله بن عُلَيْم، فقـال زهير يوماً: ألا إنّ الحيّ ظاعنٌ.

فقال عبد الله: ألا إنّ الحيّ مقيمٌ.

فقال زهير: مَنْ هذا المخالف عليّ؟.

---

(١) في النسختين: (ت) و(ر)، والأغاني «القدّ».
(٢) في الأغاني «يدعو مهلهل».
(٣) في النسخة (ر): «ضراب». وفي الأغاني «أما من ضِراب»
(٤) في النسخة (ب): «يلوا».
(٥) في النسخة (ي): «الشتاء».
(٦) في النسخة (ب): «دراهم» والنسخة (ي): «مال».
(٧) في النسخة (ي): «عدد».
(٨) في النسخة (ي): «المسيحي».
(٩) في النسخة (ب): «ففطن».
(١٠) الخبر في الأغاني ١٩/٢٤ ـ ٢٥.

فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عُلَيْم.

فقال: أعْدى الناس للمرء ابنُ أخيه. ثمّ شرب الخمر صرفاً حتى مات[1].

وممّن شرب الخمر صرفاً حتّى مات: عمرو بن كُلْثوم التغلبيّ، وأبو عامر مُلاعِب الأَسِنَّة العامريّ.

ذِكْر يوم البَرَدَان

فكان من حديثه أنّ زِياد بن الهَبُولة[2] ملك الشام، وكان من سَليح[3] بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة. فأغار على حُجْر بن عمرو[4] بن معاوية بن الحارث الكِنْديّ ملك عرب بنجد ونواحي العراق، وهو يلقَّب آكل المُرار، وكان حُجْر قد أغار في كِندة وربيعة على البحرين، فبلغ زياداً خبرُهم، فسار إلى أهل حُجر وربيعة وأموالهم وهم خُلوف، ورجالهم في غَزَاتهم المذكورة، فأخذ الحريم، والأموال، وسبى فيهم هنداً بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعَاوية.

وسمع حُجْر وكِنْدة وربيعة بغارة زياد، فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهَبُولة، ومع حُجْر أشراف ربيعة بن عوف بن مُحَلَّم بن ذُهْل بن شيبان. وعمرو بن أبي ربيعة[5] بن ذُهْل بن شيبان وغيرهما، فأدركوا عَمراً بالبَرَدان[6] دون عين أُباغ[7] وقد أمِن الطلبَ، فنزل حُجْر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدة مع حُجر دون الجبل بالصَّحْصَحان على ماء يقال له حفير. فتعجّل عوف بن محلّم وعمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان وقالا لحُجْر: إنّا متعجّلان إلى زياد، لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا. فسار إليه، وكان بينه وبين عوف إخاء، فدخل عليه وقال له: يا خير الفتيان ارددْ عليّ امرأتي أُمامة. فردّها عليه وهي حامل، فولدت له بنتاً أراد عوف أن يَئِدها[8] فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال:

---

(١) الأغاني ١٩/٢٤.

(٢) في النسخة (ي): «الهيولة». والمثبت يتفق مع: الاشتقاق لابن دريد ٢/٣١٩، وأيام العرب ٤٥، والمفصّل في تاريخ العرب ٣/٣٢٠.

(٣) في النسخة (ي): «سليخ».

(٤) أنظر عنه في: تاريخ اليعقوبي ١/٢١٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٢، جمهرة أنساب العرب ١٩١ و١٩٣ و٤٢٧، ٤٢٨، المحبّر لابن حبيب ٣٦٨ و٣٦٩، المعارف ٦٠٩، والمختصر في أخبار البشر ١/٧٤.

(٥) في النسخة (ر): «ضليع بن عبد غنم».

(٦) البَرَدان: بالتحريك. جبل مشرف على وادي نخلة قرب مكة. (معجم البلدان ١/٣٧٥).

(٧) عين أُباغ: بضم أوّله، وآخره غين معجمة. كانت بها منازل إياد بن نزار. وأُباغ: رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب إليه. (معجم البلدان ١/٦١).

(٨) في النسخة (ت): «يبيدها»، وفي النسخة (ي): «ينبذها».

لعلّها تلِد أُناساً[1] فسُمّيت أُمّ أُناس[1]، فتزوّجها الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار، فولدت عَمراً، ويُعرف بابن أمّ أُناس[1].

ثمّ إنّ عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد: يا خير الفتيان اردُدْ عليّ ما أخذتَ من إبلي. فردّها عليه وفيها فحلها، فنازعه[2] الفحل إلى الإبل، فصرعه عمرو. فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم! فقال له عمرو: لقد أعطيتَ قليلاً، وسَمّيت[3] جليلاً، وجررتَ على نفسك ويلاً[4] طويلاً! ولتجدنّ منه، ولا والله لا تبرح حتّى أروي سناني من دمك! ثمّ ركض فرسه حتّى صار إلى حُجْر، فلم يوضح له الخبر، فأرسل سَدوس بن شَيْبان بن ذُهْل وصُلَيْع[5] بن عبد غَنْم[6] يتجسّسان له الخبر، ويعلمان علم العسكر، فخرجا حتّى هجما على عسكره ليلاً وقد قسم الغنيمة وجيء بالشمع، فأطعم الناس تمراً وسمناً، فلمّا أكل الناس نادى: مَنْ جاء بحزمة حطب فله قِدْرة[7] تمر. فجاء سدُوس وصُلَيْع بحطب، وأخذا قدرتَيْن[8] من تمر، وجلسا قريباً من قُبّته. ثمّ انصرف صُلَيْع إلى حُجْر فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر.

وأمّا سَدُوس فقال: لا أبرح حتّى آتيه بأمرٍ جلّي. وجلس مع القوم يتسمّع ما يقولون، وهند امرأة حُجْر خلف زياد، فقالت لزياد: إنّ هذا التمر أُهْدي إلى حُجْر من هَجَر، والسمن من دُومة الجَنْدل. ثمّ تفرّق أصحاب زياد عنه، فضرب سَدُوس يده إلى جليس له وقال له: مَنْ أنت؟ مخافة أن يستنكره الرجل. فقال: أنا فلان بن فلان. ودنا سدوس من قُبّة زياد بحيث يسمع كلامه، ودنا زياد من امرأة حُجر، فقبّلها وداعبها وقال لها: ما ظنّك الآن بحُجْر؟ فقالت: ما هو ظنّ ولكنّه يقين، إنّه والله لن يَدَع طلبك حتّى تعاين القصور الحمر، يعني قصور الشام، وكأنّي به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه، وهو شديدُ الكَلَب، تُزبِد[9] شفتاه كأنّه بعير أكل مُراراً، فالنّجاء النَّجاء! فإنّ وراءك طالباً حثيثاً، وجمعاً كثيفاً، وكيْداً متيناً، ورأياً صليباً. فرفع يده فلطمها، ثمّ قال لها: ما قلتِ هذا إلّا من عجبك به وحبّك له! فقالت: والله ما أبغضتُ أحداً بغضي له،

---

(١) في النسخة (ي): «إياساً».

(٢) في النسخة (ي): «فصارعه».

(٣) في النسختين (ب) و(ي): «سموت» والنسخة (ر): «شمت».

(٤) في النسخة (ي): «بلاء».

(٥) في النسخة (ي): «ضليع».

(٦) في النسخة (ي): «عمرو».

(٧) في النسخة (ب): «قدح»، وفي النسخة (ي): «قدوة».

(٨) في النسخة (ي): «قدوتين»، وفي النسخة (ب): «قدحين».

(٩) في النسخة (ب): «تزيد»، وفي النسخة (ت): «تريد».

ولا رأيتُ رجلاً أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لَتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ! وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّاً من لبن، فبينا هو ذات ليلة نائم، وأنا قريب منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه فنحّى رأسه، فمال إلى يده فقبضها فمال إلى رِجْله فقبضها، فمال إلى العس فشربه ثمّ مجّه. فقلتُ: يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه. فانتبه من نومه فقال: عليّ بالإناء، فناولتُهُ فشمّه ثمّ ألقاه فهريق. فقال: أين ذهب الأسود؟ فقلتُ: ما رأيته. فقال: كذبتِ والله! وذلك كلّه يسمعه سدوس، فسار حتّى أتى حُجْراً، فلمّا دخل عليه قال:

أتاك المُرْجفون بأمر غيبٍ ... على دهش وجئتُك باليقينِ
فمن يكُ قد أتاك بأمرِ لَبْسٍ ... فقد آتي[1] بأمرٍ مستبينِ

ثمّ قصّ عليه ما سمع، فجعل حُجْر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً وأسفاً، ولا يشعر أنّه يأكله من شدّة الغضب، فلمّا فرغ سَدُوس من حديثه وجد حُجْر المُرار، فسُمّي يومئذ آكل المُرار[2].

والمُرارُ نبت شديد المُرار لا تأكله دابّة إلّا قتلها.

ثمّ أمر حُجر فنودي في الناس، وركب وسار إلى زياد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم زياد وأهل الشام وقُتلوا قتلاً ذريعاً، واستنقذتْ بكر وكِنْدة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي، وعرف سَدُوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيراً، فلمّا رآه عمرو ابن أبي ربيعة حسده،فطعن زياداً فقتله. فغضب سَدُوس وقال: قتلتَ أسيري ودِيتُه ديةُ ملكٍ، فتحاكما إلى حُجْر، فحكم على عمرو وقومه لسَدُوس بدِيةِ ملك وأعانهم من ماله. وأخذ حُجْر زوجته هنداً فربطها في فرسَيْن، ثمّ ركضهما حتّى قطعاها.

ويقال: بل أحرقها، وقال فيها:

إنّ مَن غرّه النساء بشيءٍ ... بعد هندٍ لجَاهلٌ مغرورُ
حلوةُ العين والحديث ومُرٌّ[3] ... كلّ شيء أجنّ منها الضميرُ
كلّ أُنْثى وإن بدا لك منها ... آيةُ الحبّ حبُّها خَيْتَعُورُ[4]

ثمّ عاد إلى الحيرة.

---

(١) في النسختين: (ب) و(ت): «واتى».
(٢) الأغاني ٩/٧٨.
(٣) في النسخة (ر) والأصل «ومن».
(٤) الخيتعور: كل ما لا يدوم على حاله

قلتُ: هكذا قال بعض العلماء إنّ زياد بن هَبُولة السّليحيّ ملك الشام غزا حُجراً، وهذا غير صحيح لأنّ ملوك سليح كانوا بأطراف الشام ممّا يلي البرّ من فلسطين إلى قِنّسرين والبلاد للروم، ومنهم أخذت غسّان هذه البلاد، وكلّهم كانوا عُمّالاً لملوك الروم. (كما كان ملوك الحيرة عُمّالاً لملوك الفرس على البرّ والعرب، ولم يكن سليح ولا غسّان)[1] مستقلّين بملك الشام، (ولا بشبر واحد على سبيل التفرّد والاستقلال)[2].

وقولهم: ملك الشام، غير صحيح، وزياد بن هَبولة السّليحيّ ملك مشارف الشام أقدمُ من حُجْر الذي مَلَك الحيرة والعرب بالعراق أيّامَ قُباذ أبي أنوشِروان. وبين مُلك قُبْاذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة، وقد مَلَكت غسّان أطراف الشام بعد سليح ستّمائة سنة.

وقيل: خمسمائة سنة.

وأقلّ ما سمعتُ فيه ثلاثمائة سنة وستّ عشرة سنة، وكانوا بعد سليح، (ولم يكن زياد آخر ملوك سليح، فتزيد المدّة زيادة أخرى)[3]، وهذا تفاوتٌ كثير، فكيف يستقيم أن يكون ابن هَبُولة الملك أيّامَ حُجْر حتّى يُغير عليه! وحيث أطبقت رواةُ العرب على هذه الغزاة فلا بدّ من توجيهها، وأصلحُ ما قيل فيه: إنّ زياد بن هَبولة المعاصر لحُجْر كان رئيساً على قوم، أو متغلّباً على بعض أطراف الشام حتّى يستقيم هذا القول، والله أعلم.

وقولهم أيضاً: إنّ حُجْراً عاد إلى الحيرة، لا يستقيم أيضاً لأنّ ملوك الحيرة من ولد عديّ بن نصر اللخميّ لم ينقطع مُلكهم لها إلاّ أيّام قُباذ، فإنّه استعمل الحارث بن عَمرو ابن حُجْر آكل المُرار كما ذكرناه قبلُ. فلمّا ولي أنوشروان عزل الحارثَ وأعاد اللخميّين، ويُشْبه أن يكون بعض الكِنْديّين قد ذكر هذا تعصّباً، والله أعلم.

إنّ أبا عبيدة ذكر هذا اليوم، ولم يذكر أنّ ابن هَبولة من سَليح بل قال: هو غالب ابن هَبُولة ملك من ملوك غسّان، ولم يذكر عَوْده إلى الحيرة، فزال هذا الوهْم.

(وسَليح بفتح السين المهملة، وكسر اللام، وآخره حاء مهملة)[4].

ذِكْر مقتل حُجر أبي امرىء القيس والحروب الحادثة بمقتله إلى أن مات امرؤ القيس

نذكر أوّلاً سبب ملكهم العرب بنجد، ونسوق الحادثة إلى قتله وما يتّصل به فنقول:

(١) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة (ر).
(٢) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة (ر).
(٣) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة (ر).
(٤) في النسخة (ر) ورد بعد ذلك عنوان «ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب».

كان سفهاء بكر قد غلبوا[1] على عقلائها وغلبوهم على الأمر، وأكل القويُّ الضعيفَ، فنظر العُقلاء في أمرهم، فرأوا أن يملّكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف[2] من القويّ. فنهاهم العرب وعلموا أنّ هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم، لأنّه يطيعه قوم ويخالفه آخرون، فساروا إلى بعض تبابعة اليمن، وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا منه أن يملّك عليهم ملكاً، فملّك عليهم حُجْر بن عمرو آكل المرار، فقدِم عليهم ونزل ببطن عاقل وأغار ببكر، فانتزع عامّة[3] ما كان بأيدي اللخميّين من أرض بكر، وبقي كذلك إلى أن مات، فدُفن ببطن عاقل.

فلمّا مات صار[4] عَمْرو بن حُجر آكل المُرار، وهو المقصور، ملكاً بعد أبيه، وإنّما قيل له المقصور لأنّه قُصِر[5] على ملك أبيه، وكان أخوه معاوية، وهو الجون، على اليمامة. فلمّا مات عمرو مَلَك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك بعيد الصوت[6]، فلمّا ملك قُباذ بن فيروز الفرس خرج في أيّامه مَزْدك، فدعا الناسَ إلى الزندقة، كما ذكرناه، فأجابه قُباذ إلى ذلك، وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً للأكاسرة على الحيرة ونواحيها، فدعاه قُباذ إلى الدخول معه، فامتنع، فدعا الحارث بن عَمْرو إلى ذلك فأجابه، فاستعمله على الحيرة، وطرد المُنْذر عن مملكته[7].

وقيل في تمليكه غير ذلك، وقد ذكرناه أيّام قُباذ.

فبقوا كذلك إلى أن مَلَك كسرى أنوشِروان بن قُباذ بعد أبيه، فقتل مزدكَ وأصحابه، وأعاد المنذرَ بن ماء السماء إلى ولاية[8] الحيرة، وطلب الحارثَ بن عمرو، وكان بالأنبار، وبها منزله، فهرب بأولاده وماله وهجائنه[9]، وتبعه المنذرُ بالخيل من تغلب وإياد وبَهْراء، فلحق بأرض كلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه، وأخذت تغلِب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المُرار، فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث، فقدِموا بهم على المنذر، فقتلهم في ديار بني مَرينا[10]، وفيهم يقول عمرو بن كُلْثوم:

---

(١) في الطبعة الأوربية «غلب».
(٢) في الطبعة الأوربية «الضعيف».
(٣) في الطبعة الأوربية «غاية».
(٤) ساقطة من النسخة (ر).
(٥) في النسخة (ي): «تقصر».
(٦) في النسخة (ب): «المقصور».
(٧) الأغاني ٧٩/٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١.
(٨) في النسخة (ي): «بلاد».
(٩) في طبعة صادر ٥١٢/١ «هجانته» وما أثبتناه عن الأغاني.
(١٠) في الأصل «مزين». وبنومرينا قوم من أهل الحيرة.

فآبوا بالنِّهاب وبالسّبايا | وأُبْنا[1] بالملوك مصفَّدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس:

ملوكٌ من بني حُجْر بن عمرو | يساقون العشيّةَ يُقتَلُونا
فلو في يوم معركةٍ أُصيبوا | ولَكن في ديار بني مَرِينا[2]
ولم تُغسل جَماجِمهم[3] بغُسل[4] | ولَكن في الدماء مرمَّلينا[5]
تظلّ الطّيرُ عاكفة عليهم | وتنتزعُ الحواجبَ والعُيونا[6]

وأقام الحارثُ بديار كلب، فتزعم كلب أنّهم قتلوه، وعلماء كِندةَ تزعم أنّه خرج يتصيّد، فتبع تيساً من الظّباء فأعجزه، فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلاّ من كَبِدِه، فطلبته الخيلُ، فأُتِيَ به بعد ثلاثة، وقد كاد يهلك جُوعاً[7]، فشوي له بطنه، فأكل فِلْذةً من كبده حارّة فمات[8].

ولمّا كان الحارث بالحيرة أتاه أشراف عدّة قبائل من نِزار فقالوا: إنّا في طاعتك، وقد وقع بيننا من الشرّ بالقتل ما تعلم، ونخاف الفناء فوَجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا، فيكفّون بعضَنا عن بعض. ففرّق أولاده في قبائل العرب، فملّك ابنَه حُجْراً على بني أسد بن خُزَيمة وغَطَفَان، وملّك ابنَه شُرَحْبيل، وهو الذي قُتل يوم الكُلاب[9]، على بكر بنِ وائل بأسرها وعلى غيرها، وملّك ابنه مَعْدي كَرِب، وهو غَلْفاء، لأنّه كان يغلّف رأسه بالطِّيب، على قيس عَيْلان وطوائف غيرهم، وملّك ابنَه سَلَمَة على تَغْلِب، والنّمِر بن قاسِط، وبني سعد بن زيد مَناة من تميم[10].

فبقي حُجْر في بني أسد، وله عليهم جائزة[11] وإتاوة[12] كلّ سنة لِما يحتاج إليه، فبقي كذلك دهراً، ثمّ بعث إليهم من يجبي ذلك منهم، وكانوا بتِهامة، وطردوا رُسْله

(١) في النسخة (ب): «واما». والنسخة (ت): «وإذا».
(٢) في الأصل، ونسخة (ر): «مزينا».
(٣) في النسختين (ب) و(ت): «جماجم».
(٤) الغِسْل: ما يُغْسَل به الرأس من خطمي وطين وأشنان ونحوه.
(٥) مرمّلين: ملطّخين.
(٦) الأبيات، وبيت ابن كلثوم قبلها في الأغاني ٩/ ٨٠ وقد مرّت في ذكر ملك كسرى أنو شروان.
(٧) في النسخة (ي): «من الجوع والعطش».
(٨) الخبر في الأغاني ٩/٨٠، ٨١.
(٩) سيأتي ذِكره لاحقاً.
(١٠) الأغاني ٩/٨١، ٨٢.
(١١) في النسخة (ر): «اتاوة».
(١٢) في الطبعة الأوربية «أتاه».

وضربوهم[1]، فبلغ ذلك حُجراً، فسار إليهم بجُند من ربيعة، وجُنْد من جُنْد أخيه من قيس وكِنانة، فأتاهم فأخذ سَرَوَاتهم وخيارهم وجعل يقتّلهم بالعصا، وأباح الأموالَ وسيّرهم إلى تِهامة، وحبس منهم جماعة من أشرافهم، منهم عَبيد بن الأبْرص[2] الشاعر[3]، فقال شِعراً يستعطفه لهم، فرّق لهم وأرسل من يردّهم، فلمّا صاروا على يومٍ منه تكهّن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسديّ، فقال لهم: مَنِ الملك الأصهب[4]، الغلّاب غير المغلَّب، في الإبل كأنّها الرُبْرَب، هذا دمه، ينثعب[5] وهو غداً أوّل مَنْ يُستلب؟ قالوا: وَمَنْ هو؟ قال: لولا تجيّش[6] نفس خاشيه[7]، لأخبرتُكم أنّه حُجْر، ضاحية[8]، فركبوا كلّ صعب وذَلُول حتّى بلغوا إلى عسكر حُجْر، فهجموا عليه في قُبّته فقتلوه، طعنه عِلبَاء بن الحارث الكاهليّ فقتله، وكان حُجْر قتل أباه، فلمّا قُتل قالت بنو أسد: يا معشر كِنانة وقيس، أنتم إخواننا وبنو عمّنا[9] والرجل بعيدُ النَّسَب منّا ومنكم، وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه، فانتهبوهم. فشدّوا على هجائنه[10] فانتهبوها، ولفّوه في رَيْطة بيضاء وألقوه على الطريق، فلمّا رأته قيس وكِنانة انتهبوا أسلابه، وأجار عمرو بن مسعود عياله.

وقيل: إنّ حُجْراً لمّا رأى اجتماع بني أسد عليه خافهم، فاستجار عُوَيْمر[11] بن شَجْنة، أحد بني عُطارد بن كعب بن زيد بن مَناة بن تميم، لبنته هند بنت حُجْر وعياله، وقال لبني أسد: إنْ كان هذا شأنكم فإنّي مرتحل عنكم ومُخلّيكم وشأنكم. فوادَعُوه على ذلك وسار عنهم، وأقام في قومه مدّةً، ثمّ جمع لهم جمعاً عظيماً، وأقبل إليهم مُدِلّاً بمن معه، فتآمرت بنو أسد وقالوا: والله لئن قهركم ليحكمنّ عليكم حُكْمَ الصبيّ، فما خير

---

(١) في الأغاني «ضرجوهم».

(٢) في النسخة (ي): «الأرضّ».

(٣) شاعر جاهليّ قديم من المعمَّرين. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ١/١٨٧، طبقات الشعراء لابن سلام ١١٦، أمالي القالي ٣/١٩٩، شرح شواهد المغني ٩٢، خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٢٢، ديوان عبيد بن الأبرص الذي نشره «لايل» في ليدن ١٩١٣ وشرحه الدكتور حسين نصّار ـ القاهرة ١٩٥٧ م.

(٤) في النسخة (ب): «الصيهب»، والنسخة (ر): «المصلهب». وفي طبعة صادر ١/٥١٤ «الصلهب». وما أثبتناه عن الأغاني.

(٥) في طبعة صادر «يتثعّب». وما أثبتناه عن الأغاني ٩/٨٤.

(٦) في النسخة (ي): «تخبش».

(٧) في النسخة (ب): «خاشيته». والعبارة في الأغاني ٩/٨٤ «لولا أن تجيش نفسٌ جاشِية».

(٨) في النسختين (ب) و(ي): «صاحبنا».

(٩) في النسخة (ي): «أعمامنا».

(١٠) في طبعة صادر ١/٥١٤ «هجانته»، وما أثبتناه عن الأغاني.

(١١) في طبعة صادر ١/٥١٤ «عويمر»، وهو وهم، والتصويب من جمهرة أنساب العرب ٢١٩ والأغاني ٩/٨٥.

العيش حينئذ فموتوا كراماً. فاجتمعوا وساروا إلى حُجْر فلقوه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان صاحب أمرهم عِلْباء[1] بن الحارث، فحمل على حُجْر فطعنه فقتله، وانهزمت كِنْدةُ ومن معهم، وأسر بنو أسد من أهل بيت حُجْر، وغنِموا حتّى ملأوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جوارِيَه ونساءه وما معهم، فاقتسموه بينهم[2].

وقيل: إنّ حُجْراً أُخذ أسيراً في المعركة وجُعِل في قُبّة، فوثب عليه ابنُ أخت عِلْباء فضربه بحديدة كانت معه، لأنّ حُجْراً كان قتل أباه، فلمّا جرحه لم يقض عليه، فأوصى حُجْر، ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلقْ إلى ابني نافع، وكان أكبر أولاده، فإنْ بكى وجزع فاتركه، واستقرهم واحداً واحداً، حتّى تأتي امرؤَ القَيْس، وكان أصغرهم، فأيّهم لم يجزع فادفعْ إليه خيلي وسلاحي ووصيّتي. وقد كان بيّنَ في وصيّته مَنْ قتله وكيف كان خبره.

فانطلق الرجُل بوصيّته إلى ابنه نافع، فوضع الترابَ على رأسه، ثمّ أتاهم كلّهم، ففعلوا مثله حتّى أتى امرأَ القيس، فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنَّرْد، فقال: قُتل حُجْر، فلم يلتفتْ إلى قوله، وأمسك نديمُه، فقال له امرؤ القيس: اضربْ؛ فضرب حتّى إذا فرغ قال: ما كنتُ لأفسد دَسْتَك، ثمّ سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلّه، فأخبره، فقال له: الخمر والنساء عليّ حرام حتّى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة[3].

وكان حُجر قد طرد امرأَ القيس لقوله الشِعْر، وكان يأنَفَ منه، (وكانت أمّ امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كُلَيْب بن وائل)[4]، وكان يسير في أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيّد، فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدَمُّون من أرض اليمن، فلمّا سمع الخبر قال:

تطَاوَل الليلُ علينا دَمُّونْ ... دمُّونْ إنّا مَعْشَرٌ يمانونْ[5]
إنّنا لقَوْمِنا محبّونْ[6]

ثمّ قال: ضيّعني صغيراً وحمّلني دَمه كبيراً، لا صحوَ اليوم ولا سُكرَ غداً، «اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ». فذهبت مثلاً.

---

(١) في النسخة (ي): «عليا».
(٢) الخبر بطوله في الأغاني ٨٤/٩، ٨٥.
(٣) الأغاني ٨٧/٩.
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٥) في الأصل، والنسخة (ر): «ثمانون».
(٦) في الأغاني ٨٨/٩ «وإنّنا لأهلها».

ثمّ ارتحل حتّى نزل ببكر وتغلِب، فسألهم النصرَ على بني أسد، فأجابوه. فبعث العيونَ إلى بني أسد، فنَذِروا به، فلجأوا إلى بني كِنانة، وعيون امرىء القيس معهم، فقال لهم عِلْباء بن الحارث: اعلموا أنّ عيون امرىء القيس قد عادوا إليه بخبركم، وأنّكم عند بني كِنانة، فارحلوا بليل ولا تُعْلِموا بني[1] كِنانة. فارتحلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلِب وغيرهم، حتّى انتهى إلى بني كِنانة، وهو يظنّهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك، يا لثارات الهمام[2]! فقيل له: أبيتَ اللعنَ! لسنا لك بثأر، نحن بنو كِنانة، فدونك ثأرك فاطلبْهم، فإنّ القوم قد ساروا بالأمس. فتبع بني أسد، ففاتوه ليلتهم، فقال في ذلك:

ألا يا لهفَ هِنْدٍ إثرَ[3] قوم ... هُمُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا
وقاهم جدُّهم[4] ببني أبيهم ... وبالأشقَيْن[5] ما كان العِقابُ
وأَفلتهُنّ عِلْباءٌ جريضاً[6] ... ولو أدركْنَهُ[7] صَفِرَ الوِطابُ

يعني ببني أبيهم كنانة[8]، فإنّ أسداً وكِنانة ابنَيْ خُزَيْمة هما أخوان.

وقوله: ولو أدركْنَهُ[9] صَفِرَ الوِطابُ، قيل: كانوا قتلوه واستاقوا إبلَه، فصفِرتْ وِطابُه من اللبن، أي خلتْ.

وقيل: كانوا قتلوه فخلا جلْده، وهو وِطابه، من دمه بقتله.

فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد، فأدركهم ظُهْراً وقد تقطّعت خيله وهلكوا عطشاً، وبنو أسد نازلون على الماء، فقاتلهم حتّى كثُرت القتلى بينهم، وهربت بنو أسد. فلمّا أصبحت بكر وتغلِب أبوا أن يتبعوهم وقالوا: قد أصبتَ ثأرك. فقال: لا والله. فقالوا: بلى ولكنّك رجل مشؤوم، وكرهوا قتلهم بني كِنانة، فانصرفوا عنه، ومضى إلى

---

(١) في النسختين (ب) و(ت): «تعلم بنو».
(٢) في النسخة (ر): «التمام».
(٣) في النسخة (ي): «هنداً شرّ».
(٤) الجدّ: الحظ.
(٥) الأشقين: جمع أشقى. أي وقى بني أسد حظّهم إذ وقع العقاب بالأشقين بني أبيهم وهم كنانة. (أنظر الأغاني ٩/٩١ حاشية ١).
(٦) في الطبعة الأوربية «حريضاً». والجرض: الغصص بالريق.
(٧) في طبعة صادر ١/٥١٦ «أدركتَهُ» وما أثبتناه عن الأغاني ٩/٩١، وتاريخ اليعقوبي ١/٢١٨.
(٨) في الأغاني ٩/٩١ «أبيهم بني كنانة».
(٩) في طبعة صادر ١/٥١٧ «أدركته». وما أثبتناه عن الأغاني.

أزد شَنُوءَة يستنصرهم، فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخوانُنا وجيرانُنا. فسار عنهم ونزل بقَيْل يُدْعَى مَرْثَد[1] الخير بن ذي جَدَن[2] الحِمْيَرِيّ، وكان بينهما قرابة. فاستنصره على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْير.

ومات مَرْثد قبل رحيل امرىء القيس، ومَلَك بعده رجل من حِمْير يقال له قُرْمُل[3]، فردّد[4] امرأَ القيس، ثمّ سيّر معه ذلك الجيش، وتبعه شُذّاذٌ من العرب، واستأجر غيرهم من قبائل اليمن، فسار بهم إلى بني أسد، وظفر بهم[5].

ثمّ إنّ المنذر طلب امرأ القيس، ولجّ في طلبه، ووجّه الجيوش إليه، فلم يكن لامرىء القيس بهم طاقة، وتفرّق عنه من كان معه من حِمْير وغيرهم، فنجا في جماعة من أهله، ونزل بالحارث بن شِهاب اليربوعيّ، وهو أبو عُتَيْبَة[6] بن الحارث، فأرسل إليه المنذر يتوعَّده بالقتال إن لم يسلّمْهم إليه، فسلّمهم، ونجا امرؤ القيس (ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث، وابنته هند ابنة امرىء القيس وأدراعه وسلاحه وماله، فخرج ونزل على سعد بن الضِّباب الإياديّ سيّد قومه، فأجاره، ومدحه امرؤ القيس)[7] ثمّ تحوّل عنه ونزل على المُعَلّى بن تَيْم[8] الطائيّ، فأقام عنده واتّخذ إبِلاً هناك، فعدا قوم من جَديلة يقال لهم بنو زيد عليها فأخذوها، فأعطاها بنو نَبْهان مِعزًى يحلبها فقال:

إذا ما لم يكن إبلٌ فمِعْزًى[9]   كأنّ قُرون جِلّتِهَا العِصيُّ[10]

الأبيات[11].

ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جُوَين، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله، فعلم امرؤ القيس بذلك، فانتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له حارثة بن مُرّ فاستجاره، فأجاره. فوقعت بين عامر بن جُوَيْن والثُّعَليّ حرب، وكانت أمور كبيرة، فلمّا رأى امرؤ القيس أنّ الحرب قد وقعت بين طيّء بسببه خرج من عندهم، فقصد السموأل بن عادياء

(١) في النسخة (ي): «مريد».
(٢) في النسخة (ي): «جدث».
(٣) هكذا قُيِّد في طبعة صادر ٥١٧/١، وفي الأغاني ٩٢/١٩ «قَرْمَل بن الحميم».
(٤) في طبعة صادر «فـزوّد»، وما أثبتناه عن الطبعة الأوربية والأغاني.
(٥) الأغاني ٩٢/٩.
(٦) في النسختين (ب) و(ي): «عيينة».
(٧) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٨) في الأصل «تميم»، والتصحيح من الأغاني ٩٤/٩.
(٩) في الأغاني ٩٥/٩ ورد: «إذا ما لم تجدْ إبلاً فمِعْزَى».
(١٠) في النسخة (ت): «حلبها عصى»، وفي النسختين (ب) و(ر): «جلتها عصى».
(١١) أنظر الأغاني.

اليهوديّ، فأكرمه وأنزله، فأقام عنده امرؤ القيس ما شاء الله، ثمّ طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر[1] الغسّانيّ ليوصله إلى قيصر، ففعل ذلك، وسار إلى الحارث وأودع أهلَه وأدراعه عند السموأل، فلمّا وصل إلى قيصر أكرمه.

فبلغ ذلك بني أسد، فأرسلوا رجلاً منهم يقال له الطّمّاح، كان امرؤ القيس قتل أخاً له، فوصل الأسديّ، وقد سيّر قيصر مع امرىء القيس جيشاً كثيفاً، فيهم جماعة من أبناء الملوك. فلمّا سار امرؤ القيس، قال الطمّاح لقيصر: إنّ امرأ القيس غويّ عاهر[2]، وقد ذكر أنّه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وقال فيها أشعاراً أشهرَها بها في العرب، فبعث إليه قيصرُ بحُلّة وشيْ منسوجة بالذهب، مسمومة، وكتب إليه: إنّي أرسلتُ إليك بحلّتي التي كنتُ أَلبسها تَكْرِمةً لك فالبسْها، واكتب إليّ بخبرك من منزلٍ منزل. فلبسها امرؤ القيس وسُرَّ بذلك، فأسرع فيه السمّ وسقط جلدُه، فلذلك سُمّي «ذا القروح»؛ فقال امرؤ القيس في ذلك:

لقد طَمح الطمّاحُ من نحو[3] أرضه ... ليُلْبِسَني ممّا يِلبّس أبؤسا
فلو أنّها نفسٌ تموتُ سَوِيّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنْفُسا[4]

فلمّا وصل إلى موضع من بلاد الروم يقال له أنقِرة احتُضر بها، فقال:

رُبّ خُطْبَة مُسْحَنْفِرَهْ[5]، وطعنةٍ مُثْعَنْجِرَهْ[6] ... وجَفْنةٍ مُتَحيّرَهْ[7]، حلّتْ بأرض أنقِرهْ

ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دُفنت بجنب عَسيب، وهو جبل، فقال:

أجارتَنا إنّ الخُطُوبَ تنوبُ[8] ... وإنّي مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

---

(١) قيّدها في طبعة صادر ٥١٨/١ «شِمْر» بكسر الشين وسكون الميم.

(٢) في النسختين (ب) و(ي): «فاجر».

(٣) في الأغاني ١٠٠/٩ «بُعد».

(٤) ورد البيتان في ديوان امرىء القيس على هذا النحو:

وبدلت قرحا دامها بعد صحة ... لعل منايانا تحولن أبؤسا
لقد طمح الطمّاح من بعد أرضه ... ليلْبسني من دائه ما تلبسا

(٥) يقال: اسحنفر في خطبته إذا مضى واتسع في كلامه.

(٦) المثعنجرة: السائلة. يقال: ثعجر الدم فاثعنجر إذا صبّه فانصبّ. وقد وردت في النسخة (ي): «متعجرة».

(٧) في النسخة (ي): «محبرة». والجفنة المتحيّرة: الممتلئة طعاماً ودسماً. وهذه الشطرة الثالثة غير متّزنة. وورد هذا الشعر في مقدّمة ديوان امرىء القيس المخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٣ أدب ش:

وطَعنة مثعنجره ... وخطبة مسحنفره
وجفنة مدعثره ... تبقى غدا بأنقره

وانظر الشعر في: الشعر والشعراء ٥٣/١، ولسان العرب (مادّة ثعجر)، وتاريخ اليعقوبي ٢٢٠/١.

(٨) في الأغاني ١٠١/٩: «أجارتنا إنّ المزار قريبُ».

أجــارتَنـا إنّــا غــريبــان هــاهنــا ... وكــلّ غــريــبٍ للغِــريــبِ نَسِيــبُ

ثمّ مات فدُفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك[1].

ولمّا مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ إلى السَّمَوْأَل بن عـادياء، وطالبه بأدراع امرىء القيس، وكانت مائة درع، وبما له عنده، فلم يُعْطِه، فأخـذ الحارثُ ابناً للسموأل، (فقال: إمّا أن تُسْلم الأدراع وإمّا قتلتُ ابنك. فـأبى السموألُ أن يُسْلِم إليـه شيئاً، فقتل ابنَه، فقال السموأل في ذلك)[2]:

وفــيــتُ بــأدرُع الــكِـنــديّ إنّــي ... إذا مــا ذُمّ أقــوامٌ وفــيــتُ
وأوصــى عــاديــاً يــومــاً بــأنْ لا ... تُـهَـدِّمَ يــا سمــوألُ مــا بـنيــتُ[3]
بنى لي عــاديــاً حِصنــاً حصينــاً ... ومــاءً كـلّمــا شِئـتُ اسـتـقـيـتُ

وقد ذكر الأعشى[4] هذه الحادثة، فقال:

كنْ كـالسموأل إذ طـاف الهُمام بـه ... في جَحْفَـلٍ كسَوادِ[5] اللّيـلِ جـرّارِ
إذ سامه[6] خُـطّتَيْ خَسْفٍ فقال لـه: ... قـلْ مـا تشـاء فـإنّي سـامـعٌ حـارِ[7]
فقــال: غَـدْرٌ وثُكْــلٌ أنتَ بينهمــا ... فــاختـرْ فمــا فيهما حظٌّ لِمُختــارِ
فشـكّ غيـرَ طـويـلٍ ثمّ قــال لـه: ... اقتــلْ أسيـرَك إنّي مــانـعٌ جــارِي

وهي أكثر من هذا[8].

---

(١) الخبر في الأغاني ٩/٩٣ ـ ١٠١.
(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر). وفيها فقط: «وقال في ذلك».
(٣) هذا البيت والذي قبله في: المختصر في أخبار البشر ١/٧٥.
(٤) هو ميمون بن قيس. وقد مرّ التعريف به.
(٥) في الشعر والشعراء ١/١٨٣ «كهزيع».
(٦) هكذا في ديوان الأعشى ١٢٦ قصيدة ٢٥، وفي الشعر والشعراء: «خيّره».
(٧) في الديوان: «مهما تقله فإني سامع حار».
وفي الشعر والشعراء: «إعْرِضهما هكذا أَسْمَعْهُما حار».
(٨) أنظر الديوان ـ ص ١٢٦ القصيدة ٢٥، الشعر والشعراء ١/١٨٣، الأغاني ٢٢/١١٢، المختصر في أخبار البشر ١/٧٥، ٧٦.

يوم خَزاز[1]

وكـان من حديثـه أنّ ملكاً من ملوكِ اليمن كـان في يديـه أسارى من مُضَـر وربيعـة وقُضاعة، فوفد عليه وفدٌ من وجوه بني معدّ، منهم: سدوس بن شيبان بن ذُهْـل بن ثَعْلبة، وعَـوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْـل بن شيبـان، وعـوف بن[2] عمـرو بن جُشَم[3] بن ربيعـة بن زيـد مَنـاة بن عامـر الضَّحْيـان[4]، وجُشم بن ذُهْـل بن هـلال بن ربيعـة بن زيـد مَنـاة بن عـامـر الضَّحْيان[4]، فلقيهم رجل من بهراء يقال لـه عُبَيْد بن قُـراد[5]، وكان في الأسـارى، وكان شاعراً، فسألهم أن يُدخلوه في عـدّة من يسألـون فيه، فكلّمـوا الملك فيه وفي الأسـارى، فوهبهم لهم، فقال عُبَيْد بن قُراد البهراويّ:

نفسي الفـداءُ لـعَـوفِ الفعـالِ ... وعـوفِ ولابـن هـلالٍ جُـشَـمْ
تَـدَارَكَـنـي بـعـدمـا قـد هـوِيْـ ... ـتُ مستمسكـاً بعَـراقي الـوَذَمْ
ولـولا سَـدوسٌ وقـد شـمَّـرتْ ... بيَ الحـربُ زلّت بنَعْلي القـدمْ
ونـاديـتُ بهـراء كَـيْ يـسـمـعـوا ... ولـيس بـآذانـهـم مِـنْ صـمـمْ
ومِـنْ قـبـلهـا عَـصَـمَـتْ قـاسطٌ ... مـعـدّاً إذا مـا عـزيـزٌ أزمْ

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينةً وقال للباقين: ايتوني بـرؤساء قـومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي، وإلّا قتلتُ أصحابكم. فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبرَ، فبعث كُلَيْب وائـل إلى ربيعـة فجمعهم، واجتمعت عليـه مَعَـدّ، وهـو أحـد النفـر الـذين اجتمعت عليهم مَعَدّ، على ما نذكره في مقتل كُلَيْب. فلمّا اجتمعوا عليه سـار بهم وجعل على مقدّمته السفّاح التغلبيّ، وهو سَلَمَـة بن خالـد بن كعب بن زهير بن تَيّم بن أُسـامة بن

---

(١) العقد الفريد ٥/٢٤٥، العمدة ٢/٢١٢، تاريخ اليعقوبي ١/٢٢٥، المحبَّر ٢٤٩، نهـاية الأرب ١٥/٤٢٠، معجم البلدان ٢/٣٦٤، صبح الأعشى ١/٣٩١، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٤٧ وما بعدها، معجم مـا استعجم ٢/٤٩٦.

ويقـال: خَزَاز وخَـزَازَى: وخزاز وكيـر ومُتالـع أجبال ثـلاثة بـطخفة مـا بين البصرة إلى مكـة.. فخزاز بنحـر الطريق. وقيل: خزاز جبل لبني غاضرة خاصة. ويقال: هما خزازان وهما هضبتان طويلتـان بين أبانَيْن جبـل بني أسـد وبين مهبّ الجنوب على مسيـرة يومين بـوادٍ يقال لـه منعج، وهمـا بين بلاد بني عـامـر وبـلاد بني أسد.. (معجم البلدان ٢/٣٦٥).

وانظر حول يوم خزاز العرض المفصّل للدكتور جواد علي في كتـابه المفصّـل في تاريـخ العرب ٥/٣٤٧ ومـا بعدها.

(٢) في النسخة (ي): «مخزوم».

(٣) في النسختين (ب) و(ي): «خيثم».

(٤) في النسخة (ي): «الصهبان».

(٥) في النسخة (ي): «مراد».

مالك بن بكر بن حُبَيْب بن تغلب[1]، وأمرهم أن يوقدوا على خَزاز ناراً ليهتدوا بها؛ وخزاز جبل بطِخْفة ما بين البصرة إلى مكّة، وهو قريب من سالع[2]، وهو جبل أيضاً؛ وقال له: إنْ غِشيَك العدّو فأوقِدْ نارَيْن. فبلغ مَذْحِجاً اجتماع ربيعة ومسيرها، فأقبلوا بجُمُوعهم واستنفروا مَنْ يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم، فلمّا سمع أهلُ تِهامة بمسير مَذْحِج انضمّوا إلى ربيعة، ووصلت مَذْحِج إلى خَزاز ليلاً، فرفع السفّاح نارَيْن. فلمّا رأى كُلَيْب النارين أقبل إليهم بالجموع فصبّحهم، فالتقوا بخَزاز، فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتلَ، فانهزمت مَذْحِج وانفضّت جموعها، فقال السفّاح في ذلك:

وليلةَ بتُّ أوقدُ في خَزازٍ ... هَدَيتُ كتائباً متحيّراتِ
ضَلَلْن مِن السّهاد وكنّ لولا ... سُهادُ القوم أحسبُ هادياتِ[3]

وقال الفَرَزْدَق يخاطب جَريراً ويهجوه:

لولا فوارسُ تغلب ابنة[4] وائلٍ ... دخل العدوّ عليك كلَّ مكانِ
ضربوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا ... نارَيْن أشْرفتا على النيرانِ[5]

وقيل: إنّه لم يعلمْ أحد مَنْ كان الرئيس يوم خَزَاز، لأنّ عمرو بن كُلْثوم، وهو ابن ابنة كُلَيْب، يقول:

ونحن غداةَ أُوقِدَ في خَزَازٍ ... رَفَدْنا[6] فوقَ رِفْدِ الرافدينا[7]

فلو كان جدّه الرئيس لَذَكَرَه، ولم يفتخرْ بأنّه رفد[8]، ثمّ جعل مَنْ شهد خَزَازاً متساندين فقال:

فكنّا الأيْمَنينَ[9] إذا التقينا ... وكان الأيسَرَين بنو أبينا
فصالوا صولةً فيمن يليهمْ ... وَصُلْنا صولةً فيمن يَلينا

---

(١) قيل له السفّاح: لأنه سفح المزاد أي صبّها في ذلك اليوم حتى يقاتل قومه قتال المستميت. قاد قومه يوم كاظمة. (الاشتقاق ٢٠٣، المحبّر ٣٠٠).
(٢) في النسخة (ي): «سالغ».
(٣) أيام العرب ١٠٩.
(٤) في النسختين (ب) و(ي): «ابن».
(٥) نقائض جرير والفرزدق ٤٥٢، أيام العرب ١٠٩.
(٦) في النسخة (ت): «ارقدنا».
(٧) في النسخة (ت): «وفد الوافدينا».
(٨) في النسخة (ت): «رقد».
(٩) الأيمنون: المتقدّمون، والأيسرون: المتخلّفون.

فقالوا له: استأثرتَ على إخوتك، يعني مُضَر.

ولمّا ذكر جدّه في القصيدة قال:

ومنّا قبله الساعي[1] كُلَيْبٌ فأيّ المجدُ إلاّ قد ولينا[2]

فلم يَدّعِ له الرياسة يومَ خَزَاز، وهي أشرف ما كان يفتخر له به.

(حُبَيْب بضمّ الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وآخره باء أخرى موحّدة).

ذكر مقتل كُلَيْب والأيّام بين بكر وتغلب

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابنَيْ وائل بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ بن عدنان بسبب قتْل كُلَيب، واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنْم بن تغلِب، وإنّما لُقّب كُلَيْباً لأنّه كان إذا سار أخذ معه جَرْوَ كلب، فإذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه، ثمّ ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عواءه أحد إلاّ تجنّبه ولم يقربه، وكان يقال [له] كُلَيْبُ وائل، ثمّ اختصروا فقالوا كُلَيْب، فغلب عليه[3].

وكان لواء ربيعة بن نِزار للأكبر فالأكبر من ولده، فكان اللواء في عَنَزَة بن أسد بن ربيعة، وكانت سُنّتهم أنّهم يصفّرون[4] لحاهم ويقصّون شواربهم[5]، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلاّ مَنْ يخالفهم ويريد حربهم.

ثمّ تحوّل اللواء في عبد القيس بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وكانت سُنّتهم إذا شُتموا لطموا مَنْ شتمهم، وإذا لُطموا قتلوا مَنْ لطمهم.

ثم تحوّل اللواء في النَّمِر بن قاسط بن هِنْب، وكان لهم غيرُ سُنّة مَنْ تقدّمهم.

ثمّ تحوّل اللواء إلى بكر بن وائل، فَسَاءُوا غيرَهم[6] في فرخ طائر، كانوا يوثقون

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «الساجي»، وفي النسخة (ر): «الشالي».

(٢) الأبيات من معلّقة عمرو بن كلثوم ٣٦٨.

(٣) الاشتقاق ٢٠٤، الأحكام السلطانية ١٨٦، المختصر في أخبار البشر ١/٧٧. المحبّر ٢٤٩ و٣٠٠، نهاية الأرب ١٥/٣٩٨، العقد الفريد ٣/٧١ و١٢٠ و٢٩٨، ثمار القلوب ٩٦ و٩٩ و١٠٠ و٣٠٧ و٣٠٨، الأغاني ٥/٣٤، مجمع الأمثال للميداني ١/٣٣٠.

(٤) في النسخة (ي): «يوفرون»، وفي النسخة (ر): «يصفرون».

(٥) في النسختين (ت) و(ر): «يقصرون ثيابهم».

(٦) في النسخة (ر): «فسنوا عرهم».

الفرخ بقارعة الطريق، فإذا عُلم بمكانه لم يسلكْ أحد ذلك الطريق، ويسلك مَنْ يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره.

ثم تحوّل اللواء إلى تغلِب، فوليه وائل بن ربيعة، وكانت سُنّته ما ذكرناه من جَرْو الكلب.

ولم تجتمع معدّ إلّا على ثلاثة نفر، وهم: عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن بكر بن يَشْكُر بن الحارث، وهو عدوان بن عمرو بن قيس عَيْلَان، وهو (الناس)[1] بن مُضَر ـ بالنون ـ وهو أخو[2] إلياس بن مُضَر، وكان قائد معدّ حين تمذحجت مَذْحج وسارت إلى تِهامة، وهي أوّل وقعة كانت بين تِهامة واليمن.

والثاني ربيعة بن الحارث بن مُرّة بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن كلب[3]، وكان قائد مَعَدّ يوم السُّلّان بين أهل اليمامة واليمن.

والثالث وائل بن ربيعة، وكان قائد مَعَدّ يوم خَزاز، ففضّ جموع اليمن وهزمهم، وجعلت له مَعَدّ قَسَم الملك وتاجه وطاعته، وبقي زماناً من الدهر، ثمّ دخله زَهْوٌ شديد وبغى على قومِه، حتّى بلغ من بغيه أنّه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يُرْعَى حماه، وكان يقول: وحشُ أرضِ كذا[4] في جواري، فلا يُصاد، ولا يورد أحد مع إبِله، ولا يوقد ناراً مع ناره، ولا يمرّ أحد بين بيوته[5] ولا يحتبي في مجلسه.

وكانت بنو جُشَم، وبنو شيبان أخلاطاً في دار واحدة، إرادةَ الجماعة ومخافَة الفُرقة، وتزوّج كُلَيْب جَليلةَ بنت مُرّة بن شيبان بن ثعلبة، وهي أخت جَسّاس بن مُرّة، وحمى كُلَيب أرضاً من العالية في أوّل الربيع، وكان لا يقربها إلّا مُحارب.

ثمّ إنّ رجلاً يقال له سعد بن شُمَيس[6] بن طوق الجَرميّ نزل بالبَسوس بنت مُنْقذ التميميّة، خالة جَسّاس بن مُرّة. وكان للجرميّ ناقة اسمها سَراب، ترعى مع نوق جَسّاس، وهي التي ضربت العربُ بها المثل فقالوا: «أشأم من سراب» «وأشأم من البسوس»[7].

---

(١) هو المعروف بـ «أُناس» بقطع الهمزة.

(٢) ساقطة من النسخة (ر).

(٣) في النسخة (ي): «كليب».

(٤) في النسخة (ي): «كله».

(٥) في النسخة (ر): «نديه».

(٦) في النسختين (ت) و(ي): «سمير»، وفي (ر): «شمر».

(٧) العقد الفريد ٣/٧١، الأغاني ٥/٣٥، مجمع الأمثال ١/٣٣٠.

فخرج كُلَيب يوماً يتعهّد الإبل ومراعيها، فأتاها وتردّد فيها، وكانت إبله وإبل جسّاس مختلطة، فنظر كُلَيْب إلى سراب فأنكرها، فقال له جسّاس، وهو معه: هذه ناقة جارنا الجَرميّ. فقال: لا تَعُدْ هذه الناقة إلى هذا الحِمَى. فقال جسّاس: لا ترعى إبلي مرعىً إلاّ وهذه معها، فقال كُلَيب: لئن عادت لأضعنّ سهمي في ضرعها. فقال جسّاس: لئن وضعتَ سهمك في ضرعها لأضعنّ سنان رمحي في لَبّتك! ثمّ تفرّقا، وقال كليب لامرأته: أتَرَيْن أنّ في العرب رجلاً مانعاً منّي جارَهُ؟ قالت: لا أعلمه إلاّ جسّاساً، فحدّثها الحديث. وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحِمى منعته وناشدْتُه الله أن [لا] يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جسّاساً، أن يسرّح إبله.

ثمّ إنّ كُلَيباً خرج إلى الحِمَى وجعل يتصفّح الإبل، فرأى ناقة الجرميّ فرمى ضرعها فأنفذه، فولّت ولها عجيج حتّى بركت بفِناء صاحبها. فلمّا رأى ما بها صرخ بالذلّ، وسمعت البَسوسُ صُراخَ جارها، فخرجت إليه، فلمّا رأت ما بِناقته وضعت يدها على رأسها ثمّ صاحت: واذُلاّه! وجسّاس يراها ويسمع، فخرج إليها فقال لها: اسكتي ولا تُراعي، وسكّن الجرميّ، وقال لهما: إنّي سأقتل جملاً[1] أعظم من هذه الناقة، سأقتل غِلالاً، وكان غلال فحلَ إبل كُلَيب لم يُرَ في زمانه مثله، وإنّما أراد جسّاس بمقالته كُلَيباً. وكان لِكُلَيب عين يسمع ما يقولون، فأعاد الكلام على كُلَيب، فقال: لقد اقتصر من يمينه على غِلال. ولم يزلْ جسّاس يطلب غِرّة كُلَيب فخرج كُلَيب يوماً آمناً، فلمّا بَعُد عن البيوت ركب جسّاس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كُلَيباً، فوقف كُلَيب. فقال له جسّاس: يا كُلَيب الرمح وراءك! فقال: إن كنتَ صادقاً فأقبِلْ إليّ من أمامي، ولم يلتفت إليه، فطعنه فأرداه عن فرسه، فقال: يا جسّاس أغِثْني بشربة من ماء، فلم يأته بشيء، وقضى كُلَيب نحبه[2]. فأمر جسّاس رجلاً كان معه اسمه عمرو بن الحارث بن ذُهْل بن شيبان، فجعل عليه أحجاراً لئلاّ تأكله السباع. وفي ذلك يقول مُهَلْهِل بن ربيعة[3]، أخو كُلَيْب:

قتيلٌ ما قتيل المرء عمرو ... وجسّاس بن مُرّة ذي صريمِ
أصاب فؤآده بأصمّ لَدْنٍ ... فلم يعطفْ هناك على حميمِ

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «رجلاً».

(٢) جاء في الأغاني ٥/ ٣٧ أنّ جسّاساً طعنه «برمح» فأنفذ حضنيه، فلما تداءمه الموت قال: يا جسّاس اسقني من الماء، قال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتْك أمّك إلاّ ساعتك هذه!.. فعطف عليه المزدلف عمرو ابن أبي ربيعة فاحتزّ رأسه».

(٣) هو عديّ بن ربيعة. يقال إنه أوّل من قصّد القصائد. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ١/ ٢١٥، معجم الشعراء للمرزباني ٢٤٨، جمهرة أنساب العرب ٣٠٥، المعارف ٩٦ و٦٠٥، العقد الفريد ١/ ٢٨ و٣/ ١٢٠، المختصر في أخبار البشر ١/ ٧٧، نهاية الأرب ١٥/ ٣٩٨.

فـإنّ غـداً وبـعـد غـدٍ لَـرَهْـنٌ   لأمـر مـا يـقـام لـه عـظـيـمِ
جـسـيـمـاً مـا بكـيتُ بـه كـليبـاً   إذا مـا ذُكِـر الفعـال من الجسيمِ
سـأشـربُ كـأسَها صِـرْفـاً وأُسقى   بـكـأسٍ غـيـر منـطقـة مـليـمِ

ولمّا قتل جسّاس كُلَيباً انصرف على فرسه يركضه، وقد بدت رُكْبتاه، فلمّا نظر أبوه مُرّة إلى ذلك قال: لقد أتاكم جسّاس بداهيةٍ، ما رأيتُهُ قطّ بـاديَ الرُكْبَتَيْن إلى اليـوم! فلمّا وقف على أبيه قال: ما لك يا جسّاس؟ قال: طعنتُ طعنة يجتمع بنو وائل غداً لها رقصاً. قال: ومَنْ طعنتَ؟ لأمّك الثكل! قال: قتلتُ كُلَيباً. قال: أفعلتَ؟ قـال: نعم. قال: بئس والله ما جئتَ[1] به قومَك! فقال جسّاس:

تـأهّبْ عنـك أُهبـةَ ذي امتنـاع[2]   فـإنّ الأمـرَ جـلّ عـن التـلاحـي
فـإنّي قـد جَنَيْتُ عليـكَ حـربـاً   تُغِصّ الشيـخَ بـالمـاء القَـراحِ[3]

فلمّا سمع أبوه قولَه خاف خذلان قومه لِما كان من لائمته إيّاه، فقال يجيبه:

فإن تَـكُ قـد جنيتَ عليّ حـربـاً[4]   تُغِصّ الشيـخَ بـالمـاء القَـراحِ
جمعتَ بهـا يـدَيْـكَ على كُلَيْبٍ   فـلا وكـلٌ[5] ولا رَثُّ السـلاحِ[6]
سـألبسُ ثـوبَهـا وأذود[7] عـنّـي   بـهـا عـارَ المـذلّـةِ والـفضـاحِ

ثمّ إنّ مُرّة دعا قومه إلى نُصرته، فأجابوه وجَلَوا الأسنّة، وشحذوا السيوفَ، وقوَّموا الرماحَ، وتهيّأوا للرحلة إلى جماعة قومهم.

وكان هَمّام بن مُرّة أخو جسّاس، ومُهَلْهِل أخو كُلَيب في ذلك الوقت يشربان، فبعث جسّاس إلى همّام جارية لهم تُخبره الخبر، فانتهت إليهما وأشارت إلى همّام، فقام إليها، فأخبرته، فقال له مهلهِل: ما قالت لـك الجاريـة؟ وكان بينهمـا عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبَهُ شيئاً، فذكر له ما قالت الجارية، وأحبّ أن يعلمه ذلك في مداعبة وهزل، فقال له مهلهل: استُ أخيك أضْيَق من ذلك[8]! فأقبلا على شُرْبهمـا، فقال لـه مهلهل: اشـرب،

---

(١) في النسخة (ر): «حبوت».
(٢) في النسخ (ت) و(ر) و(ي): «امتياج».
(٣) البيتان في الأغاني ٥/٣٩.
(٤) في الأغاني: «وإني قد جنيتُ عليكَ حرباً».
(٥) في النسختين (ب) و(ي): «وان».
(٦) في الأغاني:
فـإنْ تـكُ قـد جـنيـتَ عـليّ حـربـاً   فـلا وانٍ ولا رثُّ الـسـلاحِ
(٧) في النسخة (ب): «وأذب».
(٨) الأغاني ٥/٤١.

«فاليوم خمرٌ وغداً أمرُ». فشرب همّام وهو حَذِر خائف، فلمّا سكر مُهَلهِل عاد همّام إلى أهله، فساروا من ساعتهم إلى جماعة قومهم.

وظهر أمر كُلَيب، فذهبوا إليه فدفنوه، فلمّا دُفن شُقّت الجيوب وخُمشت الوجوه، وخرج الأبكارُ وذوات الخُدور العواتق إليه، وقمن للمأتم، فقال النساء لأخت كُلَيب: أَخْرِجي جَليلةَ أخت جسّاس عنّا، فإنّ قيامها فيه شماتة وعار علينا، ـ وكانت امرأةَ كُلَيب، كما ذَكرنا ـ فقالت لها أخت كُلَيْب: اخرجي عن مأتمنا فأنتِ أخت قاتِلنا وشقيقة واتِرنا، فخرجتْ تجرّ عِطافها، فلقيها أبوها مُرّة فقال لها: ما وراءك يا جليلة[1]؟ فقالت: ثُكْلُ العَدَد، وحُزْنُ الأبد[2]، وفقد خليل[3]، وقتْل أخٍ عن قليل؛ وبين هذين غرسُ الأحقاد، وتفتُّتُ الأكباد. فقال لها: أوَيَكُفُّ ذلك كرْم الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات؟ فقالت: أُمْنِيّةُ[4] مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أَلِبُدْنٍ تَدَعُ لك تغلِبُ دَمَ ربّها!.

ولمّا رحلت جَليلة قالت أخت كُلَيب: رِحلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت، ويلٌ غداً لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّة. فبلغ قولُها جَليلة، فقالت: وكيف تشمتُ الحُرّة بهتَكْ سِتْرها وتَرَقُّب[5] وِتْرها! أسعد الله أختي ألاّ قالت: نفْرة الحياء[6] وخوف الأعداء[7]! ثم أنشأت تقول:

يا ابنةَ الأقوام إن شئتِ[8] فلا ... تَعْجلي باللوم حتّى تَسألي
فإذا أنتِ تبيَّنتِ الذي[9] ... يوجب اللومَ فَلُومي واعذُلي
إنْ تكن أُختُ امرىءٍ ليَمُتْ على ... شَفَقٍ مِنْها عَلَيْهِ فافْعلي
جلَّ عندي فِعْلُ جسّاسٍ فيا ... حسرتا عمّا انجلَى أو ينجلي[10]
فِعْلُ جسّاسٍ على وجْدِي به ... قاطعٌ ظَهْري وَمُدْنٍ أَجَلي
لو بِعَينٍ فُقِئَتْ عينٌ[11] سِوَى ... أختها فانفقأتْ لم أحفِلِ

(١) ساقطة من النسخة (ر).
(٢) في النسخة (ي): «أبد».
(٣) في الأغاني ٥/٦٢ «حليل».
(٤) في النسختين (ب) و(ت): «أمينة».
(٥) في النسخة (ب): «ورقة».
(٦) في النسختين (ب) و(ي): «بقرة الحشاء».
(٧) في الأغاني ٥/٦٣ «الاعتداء».
(٨) في طبعة صادر ١/٥٢٨ «لمتِ»، وما أثبتناه عن أشعار النساء للمرزباني ٥٠، والأغاني ٥/٦٣.
(٩) في الطبعة الأوربية «فإذا ما أنتِ ثنّيت الذي».
(١٠) في الطبعة الأوربية «حسرتا فيما انجلَت أو تنجلي».
(١١) في الأغاني «عيني».

تحمِلُ العينُ قَذَى العينِ كما		تحمِلُ الأمُّ أذى ما تَفْتَلي
يا قتيلاً قوّضَ الدهرُ به		سَقْفَ بيتيّ جميعاً من عَلِ
هَدَم البيتَ الذي استحدثْتُهُ		وانثنى[1] في هدم بيت الأوّلِ
ورماني قتلُهُ[2] من كَثَبٍ		رِمْيَةَ المُصْمِي به المستأصِلِ
يا نسائي دونكنّ اليومَ قد		خصّني الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
خصّني قتْلُ كُلَيْبٍ بلظىً		مِن ورائي ولظىً مُستقبِلِ
ليس مَنْ يَبكي ليومَيْه كمن		إنّما يبكي ليوم مُقْبِلِ
يَشْتفي المدركُ بالثأر وفي		دركي ثأريَ ثكلُ المُثْكِلِ
ليته كان دماً[3] فاحتلبوا		دِرَراً منه دمي[4] من أكحلي
إنّني قاتلةٌ مقتولةٌ		ولعلّ[5] الله أن يرتاح لي

وأمّا مُهَلْهِل، واسمه عَدِيّ، وقيل: امرؤ القيس، وهو خال امرىء القيس بن حُجر الكنديّ، وإنّما لُقّب مهلهِلاً لأنّه أوّل من هلهل الشعر وقصّد القصائد، وأوّل مَنْ كذب في شعره، فإنّه لمّا صحا[6] لم يَرُعْه إلّا النساء يصرخن: ألا إنّ كُلَيْباً قُتل، فقال، وهو أوّل شعر قيل في هذه الحادثة:

كنّا نغارُ على العواتق أن تُرى		بالأمسِ خارجةً عن الأوطانِ
فخرجنَ حين ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّراً		مستَيْقناتٍ بعْده بهَوانِ[7]
فترى الكواعبَ كالظّباء عواطِلاً		إذ حان مصرعُه من الأكفانِ
يَخْمُشْنَ من أدم[8] الوجوهِ حواسراً		مِن بعْده ويعدن بالأزمانِ[9]
مُتسلّباتٍ نكدهنّ[10] وقد ورى		أجوافهنّ بحرقة ووراني
ويَقُلْنَ مَنْ للمستضيف إذا دعا		أم مَنْ لِخَضْبِ عواليَ المُرّانِ
أم لاتّسارٍ بالجَزور إذا غدا		ريحٌ يقطّع مَعقِدَ الأشطانِ

(١) في طبعة صادر «وسعى». وما أثبتناه عن الطبعة الأوربية، وأشعار النساء للمرزباني ٥٠، والأغاني ٥/ ٦٣.
(٢) في النسخة (ت): «قبيلة».
(٣) في المصادر «دمي».
(٤) في أشعار النساء «بدلاً منه دماً».
(٥) في النسخة (ت): «وامل».
(٦) في النسختين (ب) و(ت): «ضحا».
(٧) في النسخة (ر): «بعد مهران».
(٨) في النسخة (ب): «يخرجن»، وفي النسخة (ت): «يخمشن أدمة».
(٩) في النسخة (ر): «بالأرنان».
(١٠) في الطبعة الأوربية «بكيدهنّ».

أمَنْ لإسْبـاقِ[1] الـديـاتِ وجمعها ... ولفـادحـاتِ نـوائب الحِـدْثـانِ
كـان الـذخيـرةَ للزمان فقـد أتى ... فـقـدانُـه وأخـلّ رُكنَ مكـانـي
يـا لهفَ نفسي من زمانٍ فـاجعٍ ... ألـقي عـليّ بكـلكـلٍ وَجِـران[2]
بـمصيبـةٍ لا تُـستـقـال جـليلةٍ ... غَلَبَتْ[3] عـزاءَ الـقـومِ والنِّسـوانِ
هـدّت حُصونـاً كُنّ قبلُ مـلاوذاً ... لـذوي الكهـول معـاً وللشبّـانِ
أضْحتْ وأضحى سورُها من بعـده ... مُـتـهـدِّمَ الأركـان والـبُـنـيـانِ
فـابْكينَ سيّـد قـومـه وانـدبنـه ... شُـدّتْ عليـه قبـاطيَ الأكفـانِ
وابْكيـن لِـلأيْتـام لـمّـا أقحـطوا ... وابْكين عنـد تـخـاذُلِ الجيـرانِ
وابكين مصـرعَ جِيدِه[4] مُتَـزمِّـلاً ... بـدمـائـه فلذاك مـا أبكـانـي
فـلأتـرُكَـنّ بـه قبـائـلَ تـغلبٍ ... قَـتْـلَى بـكـلّ قـرارة ومـكـانِ
قَتْلَى تُعَـاوِرُهـا النـسـورُ أكفَّـهـا ... ينهشنهـا وحـواجـلُ الغِـربـانِ

ثمّ انطلق إلى المكان الـذي قُتل فيـه كُلَيب فرأى دمـه، وأتى قبره فـوقف عليه، ثمّ قال:

إنّ تحت التـراب حـزْمـاً وعـزْمـاً[5] ... وخـصـيـمـاً ألـدَّ ذا مِـعْـلاَقِ
حيّـةً في الـوِجـار[6] أربُـد[7] لا يـنـ ... ـفـع منـه السليمَ نفثُ الـراقي[8]

ثمّ جزّ شعره، وقَصّر ثوبـه، وهجر النسـاء، وترك الغـزل، وحرّم القمـار والشراب، وجمع إليه قومَه، وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبـان، فأتـوا مُرّةَ بن ذُهْـل بـن شيبان وهـو في نادي قومه فقالوا له: إنّكم أتيتم عظيماً بقتْلكم كُلَيباً بناقـة، وقطعتم الـرَّحِم، وانتهكتم الحُرْمة، وإنّا نعرض عليك خِلالاً أربعاً، لكم فيها مخرج، ولنا فيهـا مقنع، إمّـا أن تُحيي لنـا كُلَيباً، أو تـدفع إلينـا قاتله جسّـاساً فنقتله بـه، أو همّاماً فإنّـه كفؤ لـه، أو تمكّننـا من نفسك، فإنّ فيك[9] وفاء لِدَمِه.

---

(١) في النسخة (ر): «لاشناق».
(٢) في النسختين (ب) و(ت): «وحران».
(٣) في النسخة (ي): «جلبت».
(٤) في النسخة (ب): «جيبه»، وفي (ت): «خده»، وفي «جنبه».
(٥) في الأغاني: «إنّ تحت الأحجار حدّاً وليناً».
(٦) الوِجار: حجْر الصنج.
(٧) الأربد: الذي يضرب لونه إلى السواد.
(٨) في الأغاني ٥/٥٥ «نفثة راق».
(٩) في النسخة (ب): «دمك».

فقال لهم: أمّا إحيائي كُلَيْباً فلستُ قادراً عليه، وأمّا دفْعي جسّاساً إليكم فإنّه غلام طعن طعنة على عَجَل، وركب فرسه فلا أدري أيَّ بلادٍ قصد، وأمّا همّام فإنّه أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة، كلّهم فرسان قومهم، فلن يُسلّموه بجريرة غيره، وأمّا أنا فما هو إلّا أن تجول الخيل جولة، فأكون أوّل قتيل، فما أتعجّل الموت، ولكنْ لكم عندي خصْلتان: أمّا إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون، فخذوا أيَّهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم، وأمّا الأخرى فإنّي أدفع إليكم ألفَ ناقة سود الحَدَق حُمْر الوبر.

فغضب القومُ وقالوا: قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كُلَيب؟ ونشبت الحرب بينهم. ولحقت جَليلةُ زوجة كُلَيْب بأبيها وقومها، واعتزلت قبائل بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال، وأعظموا قتْل كُلَيب فتحوّلت لُجَيْم[1] ويَشْكر، وكفّ الحارث بن عُباد عن نصرهم ومعه أهل بيته، وقال مهلهِل عدّة قصائد يرثي كُلَيباً منها:

كُلَيْب لا خير في الدنيا ومَنْ فيها ... إذ أنت خلّيتها فيمن يخلّيها
كليبُ أيُّ فتى عزٍّ وَمَكْرُمة ... تحت السقائف إذ يعلوك سافيها[2]
نَعى النُّعاةُ كُليباً ليَ فقلتُ لهم: ... مالت بنا الأرضُ أو زالت رَواسيها
الحزم والعَزْمُ كانا من صنيعته ... ما كُلّ آلائِهِ يا قومُ أُحْصيها
القائدُ الخيل تَرْدي في أَعِنّتها ... رَهْواً[3] إذا الخيل لجّتْ في تعاديها[4]
من خيل تغلبَ ما تُلقَى أسنّتَها ... إلّا وقد خضبوها من أعاديها
يُهَزْهِزون من الخطّيّ مُدْمَجةً ... صُمّاً[5] أنابيبُها زُرْقاً[6] عواليها
ليتَ السماءَ على مَنْ تحتها وقعتْ ... وانشقّتِ الأرضُ فانجابت بمَن فيها
لا أصلح الله منّا مَن يصالحكم ... ما لاحت الشمسُ في أعلى مجاريها[7]

فالتقوا أوّلَ قتال كان بينهم، في قولٍ يوم عُنَيْزة[8]، وهي عند فلجة[9]، وكانا على السواء، فقال مهلهِل:

---

(١) في النسخة (ب): «سجيم».
(٢) سافيها: ترابها.
(٣) في النسخة (ي): «زهوا». وفي النسخة (ر): «زهرا».
(٤) في النسخة (ت): «تهاديها»، والمثبت يتفق مع العقد الفريد.
(٥) في العقد الفريد «كُمتاً».
(٦) في النسخة (ب): «شهبا».
(٧) الأبيات في العقد الفريد ٥/٢١٧.
(٨) العقد الفريد ٥/٢١٩، نهاية الأرب ٢٥/٤٠١، المختصر في أخبار البشر ١/٧٧.
(٩) في النسخة (ر) «محله».

كـأنـا غُـدْوَةً[1] وبـنـي أبـيـنـا بِجَنْبِ عُنَيْـزةٍ رَحَيَـا[2] مُـديـرِ
ولـولا الريـحُ أُسْمِـعَ أهـلُ حُجـر[3] صليـلَ[4]البيضِ تُقْـرَعُ بـالـذُّكـورِ

فتفرّقوا ثمّ بقوا زماناً، ثمّ إنّهم التقوا بماء يقال له النِّهْي[5]، كانت بنو شيبان نازلة عليه، ويُروَى أنّها أوّل وقعة كانت بينهم، وكان رئيس تغلِب مهلهِل، ورئيس شيبان الحارث بن مُرّة، وكانت الدائرة لبني تغلب، وكانت الشوكة في بني شيبان، واستحرّ القتالُ فيهم، إلاّ أنّهُ لم يُقْتَلْ ذلك اليوم أحد من بني مُرّة[6].

ثمّ التقوا بالذنائب[7]، وهي أعظم وقعة كانت لهم، فظفرت بنو تغلب، وقتلت بكراً مقتلة عظيمة، وقُتل فيها شَراحيل بن مُرّة بن همّام بن ذُهْل بن شيبَان، وهو جدّ الحَوْفَزان وجدّ معن بن زائدة، وقُتل الحارث بن مُرّة بن ذُهْلِ بن شيبان، وقُتل من بني ذُهْل بن ثعلبة عمرو بن سَدوس بن شيبان بن ذُهْل وغيرهم من رُؤساء بكر[8].

ثمّ التقوا يوم واردات[9] فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت تغلِب أيضاً، وكثُر القتل في بكر، فقُتل همّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شيبان أخو جسّاس لأبيه وأُمّه، فمرّ مهلهِل، فلمّا رآه قتيلاً قال: والله ما قُتل بعد كُليب أعزّ عليّ منك، والله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبداً.

وقيل: إنّما قُتل يوم القُصَيْبات، قبل يوم قِضّة[10]، قتله ناشرة، وكان همّام قد التقطه وربّاه وسمّاه ناشرة، وكان عنده. فلمّا شبّ علم أنّه تغلبيّ، فلمّا كان هذا اليوم جعل همّام يقاتل، فإذا عطش جاء إلى قِربة له يشرب منها، فتغفله ناشرة فقتله، ولحِق بقومه تغلِب، وكاد جسّاس يؤخذ فسلم، فقال مهلهِل:

---

(1) في النسخة (ر) «عزوة»، وفي الأغاني «غداة كأنّنا».
(2) الرَّحَيَان: إذا أدارهما مدير أثّرت إحداهما في الأخرى، وهما من معدن واحد، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتماحقون ويقتتلون». (الأغاني ٥/٥٤ حاشية (٦).
(3) في الأغاني، والعقد الفريد ٥/٢٢٠ «مَن بحَجْر».
(4) في النسخة (ر): «صرير».
(5) العقد الفريد ٥/٢١٨ نهاية الأرب ١٥/٤٠٠ (بالكسر في لغة أهل نجد).
(6) المرجعان السابقان، مع المختصر في أخبار البشر ١/٧٧.
(7) العقد الفريد ٥/٢١٨، نهاية الأرب ١٥/٤٠٠، ٤٠١ (وهي ثلاث هضبات بنجد)، عن يسار فلجة مصعّداً إلى مكة. (معجم البلدان ٣/٧).
(8) العقد الفريد، نهاية الأرب، المختصر في أخبار البشر.
(9) العقد الفريد ٥/٢١٨، ٢١٩، نهاية الأرب ١٥/٤٠١، المختصر في أخبار البشر ١/٧٧ (وهي عن يسار مكة).
(10) قِضَة: بكسر أوّله وتخفيف ثانيه. عقبة بعارض اليمامة.

لـو أنّ خيلي أدركتْـك وجـدتَهُم[1]	مثـل الليـوث بستْـرِ غُبّ[2] عـرينِ

ويقول فيها:

ولأوردنّ الـخـيـلَ بـطنَ أراكـة	ولأقـضـيـنّ بـفـعـل ذاك ديـونـي
ولأقتلنّ جحـاجحـاً من بِكْـركـم	ولأبـكـيـنّ بهـا جـفـون عُـيـونِ[3]
حتّى تـظلّ الحامـلاتُ مخـافـةً	مِنْ وَقْعنـا يقـذفـن كـلّ جنيـنِ

وقيل في ترتيب الأيّام غيرُ ما ذكرنا، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وكان أبو نُـوَيْرة التغلبيّ وغيـره طلائـع قومـه، وكان جسّـاس وغيره طـلائع قـومهم، والتقى بعض الليالي جسّاس وأبو نُوَيْرة، فقال له أبو نُوَيْرة: اخترْ إمّا الصراع أو الطعـان أو المسايفة[4]. فاختار جسّاس الصراع، فاصطرعا وأبطأ كلّ واحد منهما على أصحاب حَيِّهِ، وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان، وقد كاد جسّاس يصرعه، ففرّقوا بينهما.

وجعلت تغلِب تـطلب جسّاسـاً أشدّ الـطلب، فقال لـه أبـو مُـرّة: الحَقْ بـأخـوالـك بالشام، فامتنع، فألحّ عليه أبوه فسيّره سرّاً في خمسة نفر: وبلغ الخبرُ إلى مهلهِل، فندب أبا نُوَيْرة، ومعه ثلاثون رجـلاً من شجعان أصحـابه، فسـاروا مجدّين، فـأدركوا جسّـاساً، فقـاتلهم، فقُتل أبـو نُويـرة وأصحابـه، ولم يبق منهم غير رجلَين، وجُـرح جسّاس جـرحـاً شديداً مات منه، وقُتل أصحابه فلم يسلمْ غير رجلَين أيضاً، فعاد كلّ واحد من المسالمين إلى أصحابه، فلمّا سمع مُرّة قتْل ابنـه جسّاس قـال: إنّما يُحـزنني أن كان لم يَقتـلْ منهم أحداً. فقيل له: إنّه قتل بيده أبا نُوَيْرة رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلاً، ما شرِكه منّا أحد في قتلهم، وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك ممّا يسكّن قلبي عن جسّاس.

وقيـل: إنّ جسّاسـاً آخرُ مَنْ قُتـل في حرب بكـر وتغلِب، وكان سبب قتْله أنّ أختـه جَليلة كـانت تحت كُليب وائل. فلمّـا قُتل كُليب عـادت إلى أبيهـا وهي حـامـل، ووقعت الحـرب، وكان من الفـريقَيْن ما كـان، ثمّ عادوا إلى المـوادعـة بعـدمـا كـادت الفئتـان[5] تتفانيان[6]، فولدت أخت جسّاس غلاماً، فسمّته هِجْرِساً، وربّـاه جسّاس، وكـان لا يعرف

---

(١) في الأصل «وجد».

(٢) في النسخة (ب): «سننزعت»، وفي النسخة (ت): «يترغب».

(٣) في الطبعة الأوربية «عيوني».

(٤) في النسخ (ب) و(ر) و(ي): «المسابقة».

(٥) في النسختين (ب) و(ر): «القبيلتان».

(٦) في النسخة (ب): «تنفيانى» وفي النسخة (ي): «تفنان». وفي الطبعة الأوربية «تتفانى».

أباً غيره[1]، فزوّجه ابنتَهُ، فوقع بين هِجْرِس وبين رجل من بكر كلام، فقال له البكريّ: ما أنت بِمُنْتهٍ حتّى نُلْحقك بأبيك. فأمسك عنه ودخل إلى أمّه كئيباً حزيناً، فأخبرها الخبر. فلمّا نام إلى جنب امرأته رأت من همّه وفِكره ما أنكرته، فقصّت على أبيها جسّاس قصّته، فقال: ثائر وربِّ الكعبة! وبات على مثل الرَّضْف حتّى أصبح، فأحضر الهِجْرِس فقال له: إنّما أنتَ ولدي، وأنت منّي بالمكان الذي تعلم، وزوّجتك ابنتي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيتُ أن تدخل في ما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق معي حتّى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا. فقال الهِجْرِس: أنا فاعلٌ. فحمله جسّاس على فرسه فركبه ولبس لأمته وقال: مثلي لا يأتي أهلَهُ بغير سلاحه، فخرجا حتّى أتيا جماعةً من قومهما، فقصّ عليهم جسّاس القصّة، وأعلمهم أنّ الهِجْرِس يدخل في الذي دخل فيه جماعتهم، وقد حضر ليعقد ما عقدتم. فلمّا قرّبوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهِجْرِس بوسط رمحه ثمّ قال: وفرسي وأذنَيْه، ورمحي ونصلَيْه، وسيفي وغِرارَيْه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثمّ طعن جسّاساً فقتله ولحق بقومه، وكان آخرَ قتيل في بكر. والأوّل أكثرُ.

ونرجع إلى سياقة الحديث.

فلمّا قُتل جسّاس أرسل أبوه مُرّة إلى مهلهِل: إنّك قد أدركتَ ثأرك وقتلتَ جسّاساً، فاكففْ عن الحرب ودع اللجاج والإسراف، وأصلحْ ذاتَ البين، فهو أصلحُ للحيّيْن وأنكأُ لعدوّهم، فلم يجب إلى ذلك.

وكان الحارث بن عُباد[2] وقد اعتزل الحرب، فلم يشهدها، فلمّا قُتل جسّاس وهَمّام ابنا مُرّة حمل ابنه بُجَيْراً، وهو ابن عمرو بن عُباد أخي الحارث بن عُباد، فلمّا حمله على الناقة كتب معه إلى مهلهِل: إنّك قد أسرفتَ في القتل، وأدركتَ ثأرك سوى ما قتلتَ من بكر، وقد أرسلتُ ابني إليك فإمّا قتلتَهُ بأخيك وأصلحتَ بين الحيّيْن وإمّا أطلقتَهُ وأصلحتَ ذات البَينِ، فقد مضى من الحيّيْن في هذه الحروب مَنْ كان بقاؤه خيراً لنا ولكم. فلمّا وقف على كتابه أخذ بُجَيْراً فقتله وقال: بُؤْ بشِسْعِ نعلِ كُلَيْب[3]. (فلمّا سمع أبوه بقتله ظنّ أنّه قد قتله بأخيه ليصلح بين الحيّيْن، فقال: نِعمَ القتيل قتيلاً أصلح بين ابْني وائل! فقيل: إنّه قال: بؤْ بِشْسع نَعْل كُلَيب)[4]، فغضب عند ذلك الحارث بن عُباد وقال:

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٥.
(٢) في النسخة (ي): «عبادة».
(٣) العقد الفريد ٥/٢٢١.
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

قَــرِّبــا مــربَطَ الـنـعــامــةِ مــنّـي لَقِحَتْ حــربُ وائــلٍ عن حِيَــالِ
قــرِّبــا مــربطَ الـنـعــامــة مــنّـي شــاب رأسي وأنكـرتْني رجــالـي
لم أكنْ[1] مـن جُنـاتـهــا عَلِمَ الـلـ ـهُ وإنّي بحَـرِّهـا[2] اليـوم صالي[3]

فـأتوه بفـرسه النعـامة، ولم يكنِ في زمـانها مثلُهـا، فركبهـا ووَليَ أمـرَ بكـر وشهِـد حربهم، وكان أوّل يـوم شهده يـوم قِضَة، وهو يوم تَحْلاق اللِّمَم، (وإنّمـا قيل لـه تَحْلاق اللِّمَم)[4] لأنّ بكراً حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً، إلاّ جَحْدر بن ضُبَيْعة بن قيس أبو المسامعة، فقال لهم: أنا قصير فلا تشينـوني، وأنا أشتـري لِمّتي منكم بأوّل فـارس يطلع عليكم. فطلع ابنُ عنّاق، فشدّ عليه فقتله، وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول:

رُدّوا عــليّ الـخـيــل إن أَلَـمّــتِ إن لـم أقـاتلْهم فـجُـزّوا لِـمّـتي

وقاتل يومئذ الحارث بن عُباد قتالاً شديداً، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة، وفيه يقول طَرَفة[5]:

ســائلوا عنّــا الــذي يعــرفنــا بِقُــوانــا[6] يــومَ تحــلاقِ اللِّمَمْ
يوم تُبْدي[7] البيضُ عن أَسْؤُقِها[8] وتلفّ[9] الخيــلُ أفـواجَ[10] النَّعمْ

وفي هذا اليوم أَسرَ الحارثُ بن عُبـاد مهلهِلاً، واسمـه عديّ، وهـو لا يعرفـه، فقال له: دلّني على عديّ وأنا أخلّي عنك. فقال له المهلهِل: عليك عهد الله بذلـك إنْ دللتُك عليه؟ قال: نعم. قال: فأنا عديّ، فجزّ ناصيته وتركه، وقال في ذلك:

لهفَ نفسي على عَـدِيٍّ ولم أعـر فْ عــديّــاً إذْ أمكنتْني اليــدانِ[11]

---

(١) في النسخة (ي): «يكن».
(٢) في النسخة (ب): «بشرّها».
(٣) الأبيات في نهاية الأرب ١٥/٤٠٣ وفي العقد الفريد ٥/٢٢١ بيتان، والأبيات في الأغاني أيضاً ٥/٤٧.
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٥) هو طَرَفَة بن العبد بن سفيان. كان في حَسَبٍ من قومه، جـريئاً على هجـائهم وهجاء غيـرهم. أنظر عنـه في الأغاني ٢١/١٨٥، الشعر والشعراء ١/١١٧، الموشح ٥٧، معجم الشعراء ٢٠١، طبقـات الشعراء ١١٥، خزانة الأدب للبغدادي ١/٤١٤.
(٦) في النسخة (ب): «لقبونا»، وفي النسخة (ي): «يقبونا». وفي العقد الفريد ٥/٢٢١ «ما لقوا».
(٧) في النسختين (ب) و(ي): «تبدوا».
(٨) في طبعـة صادر ١/٥٣٦ «أسـوقها»، وقـد أثبتنا الهمـزة فوق الـواو، لتحمل الضمّـة، وأسوق: جمـع ساق. والمراد: يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع.
(٩) تلفّ: تجمع.
(١٠) هكذا في العقد الفريد، وفي الأغاني ٥/٤٤ ونهاية الأرب ١٥/٤٠٣ «أعراج».
(١١) العقد الفريد ٥/٢٢١، نهاية الأرب ١٥/٤٠٤، الأغاني ٥/٤٩.

وكانت الأيّام التي اشتدّت فيها الحرب بين الطائفَتَيْن خمسة أيّام:

يوم عُنَيْزة تكافأُوا فيه وتناصفوا.

ثمّ اليوم الثاني، يوم واردات، كان لتغلب على بكر.

ثمّ اليوم الثالث الحِنْو، كان لبكر على تغلِب.

ثمّ اليوم الرابع يوم القُصَيْبات، أُصيب بكر حتّى ظنُّوا أنّهم لن يستقِيلوا.

ثمّ اليوم الخامس يوم قِضّة، وهو يوم التحالق، وشهده الحارث بن عُبَاد.

ثمّ كان بعد ذلك أيّام دون هذه، منها:

يوم النَّقِيَّة[1]، ويوم الفصيل[2] لبكر على تغلِب.

ثمّ لم يكن بينهما مزاحفة إنّما كان مغاورات، ودامت الحرب بينهما أربعين سنة.

ثمّ إنّ مهلهِلاً قال لقومه: قد رأيتُ أن تُبْقوا على قومكم فإنّهم يحبّون صلاحكم، وقد أتت على حربكم أربعون سنة، وما لمتكم على ما كان مِنْ طلبكم بوَتْركم، فلو مرّت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تُمَلّ من طولها، فكيف وقد فني الحيّان، وثُكِلت الأمّهات، ويُتّم الأولاد، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي، ودموع لا تَرْقأ، وأجسادٌ لا تُدفن، وسيوف مشهورة، ورماحٍ مشرعة! وإنّ القوم سيرجعون إليكم غداً بمودّتهم ومواصلتهم، وتتعطّف الأرحام حتّى تتواسَوا في قبال النَّعْل[3]، فكان كما قال.

ثمّ قال مهلهِل: أمّا أنا فما تطيب نفسي أن أُقيم فيكم، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كُلَيب، وأخاف أن أحملكم على الاستئصال، وأنا سائر إلى اليمن، وفارقهم وسار إلى اليمن، ونزل في جَنْب، وهي حيّ من مَذْحِج، فخطبوا إليه ابنته، فمنعهم، فأخبروه على تزويجها وساقوا إليه صَداقها جلوداً من أدم، فقال في ذلك:

أعْزِزْ عَلَى[4] تغلب بما لَقِيَتْ أختُ بني الأكرمين من جُشَمِ[5]
أنكحها فقْدُها الأراقمَ في جَنْبٍ وكان الحِبَاء من أدمِ

---

(١) في النسخة (ت): «النفية».

(٢) في النسختين (ب) و(ي): «الفصل».

(٣) في الطبعة الأوربية «قتال النقل».

(٤) في الطبعة الأوربية «عليّ» بالتشديد.

(٥) البيت في الأغاني ٥/٥١:

هان على تغلب بما لقيتْ أختُ بني المالكين من جُشَمِ

لــو بِـأبـانَيْنِ[1] جـاء[2] يخـطُبهــا ضُــرِّجَ مـا أنْفُ خــاطبٍ[3] بـدمِ[4]

الأراقم بــطنٍ من جُشَم بن تغلِب، يعني حيث فقـدتِ الأراقم، وهم عشيــرتهــا، تزوّجها رجل من جَنْب[5] بأدم.

ثمّ إنّ مهلهِلاً عاد إلى ديار قومه، فأخـذه عمرو بن مـالك بن ضُبَيْعـة البكريّ أسيـراً بنواحي هجر، فأحسن إساره، فمرّ عليه تاجر يبيع الخمر قدِم بها من هَجَر، وكان صـديقاً لمهلهِل، فأهدى إليه وهو أسير زِقّاً من خمر، فاجتمع إليه بنو مـالك، فنحـروا عنده بِكْـراً وشربوا عند مهلهِل في بيته الذي أفرد له عمرو. فلمّا أخذ فيهم الشراب تغنّى مهلهِـل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كُلَيب، فسمع منه[6] عمرو ذلك فقال: إنّه لرَيّان، والله لا يشرب عندي ماء حتّى يَرِد زبيب، وهو فحل كان له، لا يـرد إلاّ خمساً في حَمَـارّة القيظ، فطلب بنو مالك زبيبـاً، وهم حِراصٌ على أن لا يهلك مهلهِـل، فلم يقدروا عليـه حتّى مات مهلهِل عطشاً.

وقيـل: إنّ ابنة خـال المهلهِل، وهي ابنـة المجلّل[7] التغلبيّ، كانت امـرأة عمـرو، وأرادت أن تأتي مهلهِلاً وهو أسير، فقال يذكرها:

طَـفْلةٌ مــا ابنــة المـجلّل بـيضـا ءُ لَـعُـوبٌ لــذيــذةٌ في الـعِـنــاقِ
فــاذهبي مــا إلـيـكِ غيـرَ بـعيـدٍ لا يؤاتي العِنــاقَ مَنْ في الــوثــاقِ
ضــربتْ نحــرهــا إلـيّ وقــالت: يــا عَـدِيّ لقــد وقتْـك الأواقي[8]

وهي أبيات ذواتُ عدد، فنُقل شعره إلى عمرو بن مالك، فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتّى يرد زبيب، فسأله الناسُ أن يورد زبيبـاً قبل وروده، ففعـل[9] وأورده وسقاه حتّى يتحلّل من يمينه، ثمّ إنّه سقى مهلهِلاً من ماء هناك وهو أوخمُ المياه، فمات مهلهِل.

(عُباد بضمّ العين، وفتح الباء الموحّدة وتخفيفها).

---

(١) أبانان: جبلان. يقال لأحدهما أبان الأبيض، وللآخر أبان الأسود.

(٢) في النسخة (ي): «يا تين من حي».

(٣) في النسخة (ي): «القت ادم».

(٤) الأبيات وغيرها في الأغاني ٥/٥١.

(٥) جَنْب: حيّ باليمن من مذحج.

(٦) في الطبعة الأوربية «به».

(٧) في الأغاني ٥/٥١ «المحلّل» بالحاء المهملة.

(٨) الأغاني ٥/٥٤.

(٩) في النسخة (ي): «فقبل».

ذِكْر الحرب بين الحارث الأعرج[1] وبني تغلِب

قال أبو عُبيدة: إنّ بكراً وتغلِب ابنَي وائلٍ اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شَرَاحِيل بن مُرّة بن هَمّام، فغزا بهم المنذرُ بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلِب ابنَه عمرو بن هند، وقال: أُغْزُ أخوالك. فغزاهم، فاقتتلوا، فانهزم بنو آكل المُرار وأُسروا، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

ثمّ انتقضت تغلِب على المنذر ولحِقت بالشام، (ونحن نذكر سبب ذلك في أخبار شيبان إن شاء الله)[2]، وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسّان بالشام، وهو الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ، فمرّ بأفاريق من تغلِب، فلم يستقبلوه. وركب[3] عمرو بن كُلْثوم التغلبيّ فلقِيه، فقال له: ما منع قومك أن يتلقّوني؟ فقال: لم يعلموا بمرورك، فقال: لئن رجعتُ لأغزونّهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومي، فقال عمرو: ما استيقظ قومٌ قطّ إلاّ نُبل رأيهم وعزّتْ جماعتهم، فلا تُوقظنّ نائمهم. فقال: كأنّك تتوعّدني بهم، أما والله لتعلمنّ إذا أجالت غطاريف غسّان الخيل في دياركم، أنّ أيقاظ قومك سينامون نومة لا حُلْمَ فيها، تُجْتَثّ أُصولهم ويُنْفَى[4] فَلُّهم إلى اليابس الجَرِد[5] والنازِح الثَّمِد.

ثمّ رجع عمرو بن كُلْثوم عنه، وجمع قومه وقال:

ألا فاعلَمْ أبيتَ اللعنَ أنّا ... نأبى ما تُريدُ[6]
تعلّمْ أنّ محمَلَنَا ثقيلٌ ... وأنّ دِبارَ[7] كَبتِّنا[8] شديدُ
وأنّا ليس حيٌّ من معدٍّ ... يقاومنا[9] إذا لُبِس الحديدُ

فلمّا عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلِب، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم، ثمّ انهزم الحارث وبنو غسّان، وقُتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كُلْثوم:

---

(١) هو الحارث بن أبي شمر الغسّاني. (أنظر: المعارف ٦٤٢).

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

(٣) وفي بعض النسخ «وثب».

(٤) في النسخة (ي): «يبقى».

(٥) في طبعة صادر ١/٥٤٠ «الجدد». وما أثبتناه عن الأغاني ١١/٥٨.

(٦) في الأغاني: «على عمدٍ سنأتي ما تريدُ».

(٧) في الأغاني «زناد».

(٨) في النسخة (ب): «كبشتنا»، وفي النسخة (ي): «كثبتنا»، وفي النسخة (ر): «ذياد كثبينا».
والكَبَّة: بالفتح: الحملة في الحرب والدفعة في القتال، وكبّة كل شيء شدّته ودفعته مثل كبّة الشتاء والجري.

(٩) في الأغاني «يوازينا».

هلّا عطفتَ على أخيك إذا دعا بالثكل ويلَ أبيك يا ابنَ أبي شِمِر
فذُق الذي جَشّمْتَ نفسَك واعترفْ فيها أخاك وعامر بن أبي حُجُر

يوم عين أُباغ[1]

وهو بين المُنْذر بن ماء السماء وبين الحارث الأعرج بن أبي شَمِر جَبَلَة.

وقيل: أبو شَمِر عمرو بن جَبَلَة بن الحارث بن حُجْر بن النعمان بن الحارث الأيْهم بن الحارث بن مارية الغسانيّ، وقيل في نسبه غير هذا.

وقيل: هو أزديّ تغلّب على غسّان.

والأوّل أكثر وأصحّ، وهو الذي طلب أدراع امرىء القيس من السَّمَوْأَل بن عادياء وقتل ابنَه، وقيل غيره، والله أعلم.

وسبب ذلك أنّ المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في مَعَدّ كلّها حتّى نزل بعين أُباغ بذات الخيار، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جَبَلَة بن الحارث بن ثعلبة بن جَفْنة بن عمرو مُزَيقِيَاءَ بن عامر الغسانيّ ملك العرب بالشام: إمّا أن تعطيني الفِدْية فأنصرف عنك بجنودي، وإمّا أن تأذن بحربٍ.

فأرسل إليه الحارثُ: أَنْظِرْنَا نَنْظرْ في أمرنا. فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له: إنّا شيخان فلا نُهلك جنودي وجنودك، ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمَنْ قُتل خرج عوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجتُ أنا إليك، فمن قَتل صاحبه ذهب بالمُلْك. فتعاهدا على ذلك، فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف بين الصفّين ويُظهر أنّه ابن المنذر، فلمّا خرج أخرج إليه الحارثُ ابنَه أبا كرِب، فلمّا رآه رجع إلى أبيّه وقال: إنّ هذا ليس بابن المنذر إنّما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بنيّ أجزعتَ من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه وقاتله، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر، وعاد فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه، فلمّا واقفه[2] رجع إلى أبيه وقال: يا أبتِ هذا والله عبد المنذر. فقال: يا بنيّ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه فشدّ عليه فقتله.

فلمّا رأى ذلك شَمِر بن عمرو الحنفيّ، وكانت أمّه غسّانيّة، وهو مع المنذر، قال: أيّها الملك إنّ الغدر ليس من شِيَم الملوك ولا الكرام، وقد غدرتَ بابن عمّك دفعتَيْن.

---

(١) العقد الفريد ٥/٢٦٠، المعارف ٦٤٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١، المختصر في أخبار البشر ١/٨٠، جمهرة أنساب العرب ٣١١، نهاية الأرب ١٥/٤٣٠، ديوان النابغة ٧٤.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «واقعه».

فغضب المنذرُ وأمر بإخراجه، فلحِق بعسكر الحارث فأخبره، فقال له: سلْ حاجتك. فقال له: حِلّتك[1] وخُلّتك، فلمّا كان الغد عبّى الحارثُ أصحابه وحرّضهم، وكان في أربعين ألفاً، واصطفّوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل المنذر وهُزمت جيوشه، فأمر الحارثُ بابنَيْه القتيلَيْن، فحُمِلا على بعير بمنزلة العِدْلَيْن، وجعل المنذر فوقهما فَوْداً وقال: «يا لَعِلاوةٍ[2] دون العِدلَيْن»! فذهبت مثلاً.

وسار إلى الحيرة فأنهبها وأحرقها، ودفن ابنَيْه بها، وبنى الغَرِيَّيْنِ[3] عليهما، في قول بعضهم.

وفي ذلك اليوم يقول ابن أبي الرَّعْلاء الضُّبْيانيّ[4]:

كم تركنا بالعينِ عينِ أُباغ ... من ملوكٍ وسُوقةٍ أكفاء
أمطرتْهم سحائبُ الموت تَتْرَى ... إنّ في الموت راحةَ الأشقياء
ليس مَنْ مات فاستراح بميْت ... إنّما الميْتُ ميّت الأحياء

يوم مرج حَلِيمَة وقتْل المُنْذر بن المنذر بن ماء السماء[5]

لمّا قُتل المنذر بن ماء السماء، على ما تقدّم، مَلَك بعده ابنه المُنْذر وتلقّب الأسود، فلمّا استقرّ وثبّت قدمه جمع عساكره، وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إنّني قد أعددتُ لك الكُهُول، على الفحول. فأجابه الحارث: قد أعددتُ لك المُرْد على الجُرْد. فسار المُنذر حتّى نزل بمرج حلِيمة، فتركه مَن به من غسّان للأسود.

وإنّما سُمّي مرج حَلِيمة بحليمة ابنة الحارث الغسّانيّ[6]، وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم.

ثمّ إنّ الحارث سار فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا

---

(١) في النسخة (ب): «حلمك». وفي النسخة (ي): «حليتك».
(٢) في النسخة (ر): «ما العلاوة».
(٣) في النسخة (ي): «الغريبين».
والغرِيّان: تثنية الغريّ. وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. (معجم البلدان ٤/١٩٦).
(٤) في النسخة (ب): «الغسّاني».
(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١، المعارف ٦٤٢، معجم البلدان ٢/٢٩٦، الأغاني ١١/٤٦، الاشتقاق ٢/٢٠٩، الشعر والشعراء ١/١٩٤، المختصر ١/٨٠.
(٦) معجم البلدان ٢/٢٩٦.

الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجِفان، وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل، فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجِفان فأكل منها. فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أيّاماً، [لم] ينتصف بعضهم من بعض. فلمّا رأى الحارث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هِنداً وأمرها، فاتّخذت طِيباً كثيراً في الجِفان وطيّبت به أصحابه، ثمّ نادى: يا فتيان غسّان مَنْ قتل ملك الحيرة زوّجتُهُ ابنتي هنداً. فقال لَبيد بن عمرو الغسّانيّ لأبيه: يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة، أو مقتول دونه لا محالة، ولستُ أرضى فرسي، فأعطني فرسك الزيتية[1]. فأعطاه فرسه. فلمّا زحف النّاسُ واقتتلوا ساعةً شدّ لَبِيد على الأسود فضربه ضربة فألقاه عن فرسه، وانهزم أصحابُه في كلّ وجه، ونزل فاحتزّ رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم، فألقى الرأسَ بين يديه. فقال له الحارث: شأنك بابنة عمّك فقد زوّجتُكَها. فقال: بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف النّاسُ انصرفتُ. فرجع فصادف أخاه الأسود قد رجع إليه الناس وهو يقاتل، وقد اشتدّت نكايتُهُ[2]، فتقدّم لَبِيد فقاتل فقُتل، ولم يُقْتَلْ في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره، وانهزمَت لخم هزيمةً ثانيةً، وقُتلوا في كلّ وجه، وانصرفتْ غسّان بأحسن ظفر.

وذُكر أنّ الغبار في هذا اليوم اشتدّ وكثر حتّى ستر الشمس، وحتى ظهرت الكواكبُ المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر[3]، لأنّ الأسود سار بعرب العراق أجمع، وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم من أشهر أيّام العرب[4]، وقد فخر به بعض شعراء غسّان فقال:

يومَ وادي حَليمةٍ وازدلفنا ... بالعناجيج والرماح الظماءِ
إذ شَحَنّا أكفّنا من رِقاقٍ ... رَقَّ مِنْ وَقْعها سَنَا السَّحْناءِ
وأتتْ هندُ بالخَلوقِ إلى مَنْ ... كان ذا نجدةٍ وفضل غَنَاءِ
ونَصَبنا الجِفَانَ في ساحةِ المر ... جِ فمِلْنا إلى جفانٍ مِلاءِ

وقيل في قتله غير ما تقدّم[5]، ونحن نذكره.

قال بعض العلماء: وكان سببه أنّ الحارث بن أبي شَمِر جَبَلَة بن الحارث الأعرج الغسّانيّ خطب إلى المنذر بن المنذر اللخميّ ابنته، وقصد انقطاع الحرب بين لخم

---

(١) في الأصل «الرتيته»، وفي النُسخ (ب) و(ر) و(ي): «الربيبة».
(٢) في النسخة (ب): «نكايبه»، وفي النسخة (ي): «مكانته».
(٣) معجم البلدان ٢/٢٩٦، المختصر في أخبار البشر ٨٠.
(٤) المفصّل في تاريخ العرب ٣/٢٤٠.
(٥) راجع اختلاف الروايات حول هذا الخبر في دراسة الدكتور جواد علي في كتابه المفصّل ٣/٢٣٠ - ٢٤١.

وغسّان، فزوّجه المنذرُ ابنتَه هنداً، وكانت لا تريد الرجال، فصنعتْ بجلدها شبيهاً بالبَرَص، وقالت لأبيها: أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسّان؟ فندم على تزويجها فأمسكها. ثمّ إنّ الحارثَ أرسل يطلبها فمنعها أبوها، واعتلّ عليه.

ثمّ إنّ المنذر خرج غازياً، فبعث الحارث بن أبي شَمِر جيشاً إلى الحيرة، فانتهبها وأحرقها. فانصرف المنذر من غَزَاته لِما بلغه من الخبر، فسار يريد غسّان، وبلغ الخبرُ الحارثَ، فجمع أصحابَه وقومه فسار بهم، فتوافقوا بعين[1] أُباغ، فاصطفّوا للقتال، فاقتتلوا واشتدّ الأمر بين الطائفتَيْن، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث، وفيها ابنه فقتلوه، وانهزمت الميسرة، وحملت ميمنةُ الحارِث على ميسرة المنذر، فانهزم مَنْ بها وقُتل مقدّمها فَرْوة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْلِ بن شيبان، وحملت غسّانُ من القلب على المنذر فقتلوه، وانهزم أصحابُه في كلّ وجه، فقُتل منهم بشر كثير وأُسر خلق كثير، منهم من بني تميم، ثمّ من بني حنظلة مائة أسير، منهم شأس بن عَبَدة، فوفد أخوه علقمة بن عَبَدة الشاعر[2] على الحارث يطلب إليه أن يُطلِق أخاه، ومدحه بقصيدته المشهورة[3] التي أوّلها:

طَحَا بك قلبٌ في الحسانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشباب عصرَ حَانَ[4] مشيبُ
تكلّفني ليلى وقد شَطّ أهلُها[5] ... وعادتْ عَوادٍ بَيننا وخُطوبُ

يقول فيها:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني ... بصير بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُهُ ... فليس له في ودّهنّ نصيبُ
(يُرِدْن ثراءَ المال حيثُ وجدنه ... وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ)[6]
وقاتَلَ من غسّان أهلُ حِفاظِها ... وهِنْبٌ وقاسٌ جالَدَتْ وشبيبُ[7]

---

(١) في النسخة (ر): «فتوافوا عين».
(٢) هو الذي يقال له: علقمة الفحل. أنظر عنه في: طبقات الشعراء لابن سلام ١١٦، الشعر والشعراء ١/٤٥ رقم ١٣، الأغاني ٢١/١٩٩، الإصابة ٣/١١١، خزانة الأدب للبغدادي ١/٥٦٥، ديوان علقمة ـ نشره ابن أبي شنب ـ الجزائر ١٩٢٥.
(٣) راجع القصيدة في ديوانه ـ ص ٢٠ وهي أولى قصائده.
(٤) في الطبعة الأوروبية «حَيْن»، والمثبت يتفق مع الأغاني ٢١/٢٠١ وغيره.
(٥) في النسختين (ب) و(ر): «وليها».
(٦) هذا البيت في حاشية النسخة (ر). وفي الشعر والشعراء ١/١٤٦ ورد: «حيث علمْنَه» بل «حيث وجدنه».
(٧) في الطبعة الأوروبية.
وخالد من غسّان أهل حِفاظِها ... وهند وفارس ما صنعتْ يشيبُ

تُخَشْخِشُ أَبْدَانُ الحديد عليهم كمَا خشخشتْ يَبْسَ[1] الحصَادِ جَنوبُ
فلم تنجُ إلّا شَطْبَةٌ بلِجامها وإلّا طِمِرٌّ[2] كالقناة نَجيبُ
وإلّا كَمِيٌّ ذو حِفاظٍ كأنّه بما ابتلّ من حَدّ الظُّبات خَضيبُ
وفي كلّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بنعمةٍ فحُقّ لشأس مِن نَداك ذنوبُ
فلا تَحْرِمَنّي نائلاً عن جَنابَةٍ[3] فإنّي امرؤٌ وَسْطَ القِباب غريبُ

فلمّا بلغ إلى قوله: فحقّ لشأس من نداك ذنوب، قال الملك: إي والله وأذنِبَةٌ، ثمّ أطلق شأساً وقال له: إن شئتَ الحِباء، وإن شئتَ أُسَراء قومك؟ وقال لجلسائه: إن اختار الحِباء على قومه فلا خير فيه. فقال: أيّها الملك ما كنتُ لأخْتار على قومي شيئاً. فأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زاداً كثيراً. فلمّا بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا: أنت كنتَ السبب في إطلاقنا فاستعِنْ بهذا على دهرك، فحصل له مال كثير من إبِل وكسوة وغير ذلك.

(عَبَدة بفتح العين والباء الموحّدة).

(وقيل[4] في قتْله: إنّه جمع عسكراً ضخماً وسار حتّى نزل الشام، وسار ملك الشام، وهو عند الأكثر الحارث بن أبي شَمِر، فنزل مرج حليمة، وهو يُنْسب إلى حليمة بنت الملك، ونزل الملك اللخميّ في مرج الصُّفَّر، فسيّر الحارثُ فارِسَيْن طليعةً، أحدهما فارس خَصاف، وكانت فرسه تجري على ثلاث فلا تُلْحَق، فسارا حتّى خالطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمعة فقتلا حاملها. ففزع القومُ فاضطربوا بأسيافهم، فقتل بعضُهم بعضاً حتّى أصبحوا، وأتاهم رُسُل الحارث ملك غسّان يبذل الصلح والإتاوة وقال: إنّي باعث رؤوس القبائل لتقرير الحال، وندب أصحابه، فانتدب له مائة غلام، وقيل: ثمانون غلاماً، فألبسهم السلاح وأمر ابنته حَليمة أن تطيّبهم وتُلبسهم ففعلت[5]. فلمّا مرّ بها لَبِيد بن عمرو فارس الزيتيّة قبّلها، فأتت أباها باكيةً، فقال: هو أسد القوم ولئِن سلم لأنكحنّه إياكِ، وأمّره على القوم وساروا، فلمّا قاربوا العسكر العراقيّ جمع الملكُ رؤوس أصحابه. وجاء الغسّانيّون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس، فلمّا تتامّوا عند الملك أبدَوا السلاح فقتلوا مَنْ وجدوا، وقتل لَبيدُ بن عمرو ملك العراقيّين، وأحيط بالغسّانيّين فقُتلوا إلاّ لَبِيد بن عمرو، فإنّ فرسه لم تبرح، فاستوى عليها، وعاد

(١) في الطبعة الأوربية «بين».
(٢) في النسختين (ب) و(ي): «طسم»، وفي النسخة (ت): «طمّ».
(٣) في النسخة (ي): «جنانة»، وفي الطبعة الأوربية «جناية».
(٤) من هنا حتى نهاية هذا الموضوع، من النسخة (ر).
(٥) الشعر والشعراء ١/١٩٥.

فأخبر الملك، فقال له: قد أنكحتُك ابنتي حَليمة[1]. فقال: لا يتحدّث النّاس أنّي فلّ مائة، ثمّ عاد إلى القوم فقاتل فقُتل. وتفقّد أهل العراق أشرافهم وإذا بهم قد قُتلوا، فضعُفَت نفوسهم لذلك وزحفت إليهم غسّان فانهزموا.

قلت: قد اختلف النّسّابون وأهل السير في مدّة الأيّام وتقديم بعضها على بعض، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها، فمنهم مَنْ يقول: إنّ يوم حَليمة هو [اليوم] الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، ويوم أُباغ هو اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن المنذر.

ومنهم مَنْ يقول بضدّ ذلك.

ومنهم مَنْ يجعل اليومَيْن واحداً فيقول: لم يُقْتَل إلّا المنذر بن ماء السماء. وأمّا ابنه المنذر فمات بالحيرة.

وقيل: إنّ المقتول من ملوك الحيرة غيرهما، فالصحيح أنّ المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شكّ فيه، وأمّا ابنه ففيه خلاف كثير، والأصحّ أنّه لم يُقْتَل، ومَنْ أثبت قتله اختلفوا في سببه، على ما ذكرناه.

وإنّما ذكرتُ اختلافهم والحادثة واحدة، لأنّ كلّ سبب منها قد ذكره بعض العلماء، فمتى تركنا أحدهما ظنّ من ليس له معرفة أنّ كل سبب منها حادث مستقلّ. وقد أهملناه، فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبّهنا عليه)[2].

ذِكْر قتْل مُضرّط الحجارة[3]

وهو عَمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخميّ صاحب الحيرة، وكان يلقّب مُضرّط الحجارة لشدّة ملكه وقوّة سياسته، وأمّه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المُرار، وهي عمّة امرىء القيس بن حُجر بن الحارث.

وكان سبب قتله أنّه قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أنّ أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أُمُّهُ أُمّي؟ قالوا: ما نعرفه إلّا أن يكون عمرو بن كُلْثوم التغلبيّ، فإنّ أمّه ليلى بنت مُهَلْهِل بن ربيعة، وعمّها كُلَيْب وائل، وزوجُها كلثوم، وابنها عمرو.

---

(١) جاء في معجم البلدان ٢/٢٩٦ أنه عاد سالِماً فزوّجوه حليمة.

(٢) حتى هنا ينتهي المضاف من النسخة (ر).

(٣) الشعر والشعراء ١/١٥٧، الأغاني ١١/٥٣، المحبَّر ٣٥٩، تاريخ اليعقوبي ١/٢١٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٣، جمهرة أنساب العرب ٢٣٢، المعارف ٦٤٨، المختصر في أخبار البشر ١/٧١، مروج الذهب ٢/٩٩ وفيه «قابوس بن المنذر».

فسكت مُضرِّط الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره[1]، ويأمره أن تزور أمّه ليلى أمّ نفسه هنداً بنت الحارث. فقدِم عَمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلِب ومعه أمّه ليلى، فنزل على شاطىء الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه، فأمر فضُربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً، ثمّ دعا الناس إليه، فقرّب إليهم الطعام على باب السرادق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواصّ أصحابه في السرادق، ولأمّه هند قبّة في جانب السرادق، وليلى أمّ عمرو بن كلثوم معها في القبّة، وقد قال مُضرِّط الحجارة لأمّه: إذا فرغ الناسُ من الطعام ولم يبق إلّا الطُّرف فنحّي خدمك عنك، فإذا دنا الطُّرَف[2] فاستخدمي ليلى ومُريها فَلْتُناوِلْكِ الشيء بعد الشيء.

ففعلت هند ما أمرها به ابنُها، فلمّا استُدعي الطُّرف قالت هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق. فقالت: لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فألحّت عليها. فقالت ليلى: واذُلّاه! يا آل تغلِب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، فثار الدمُ في وجهه والقوم يشربون، فعرف عمرو بن هند الشرّ في وجهه، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلّق في السرادق، وليس هناك سيف غيره، فأخذه ثمّ ضرب به رأس مُضرِّط الحجارة فقتله، وخرج فنادى: يا آل تغلِب! فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء، وساروا فلحِقوا بالحيرة، فقال أُفْنُون التغلبيّ[3]:

لَعَمْرُكَ ما عمرُو بنُ هندٍ وقد دعا ... لِتَخدم ليلى أمَّهُ بِموفَّقِ
فقم ابنُ كلثوم إلى السيف مُصْلَتاً ... وأمسك مِن ندمانه بالمخنَّقِ[4]

---

(١) في النسخة (ي): «ليزوره».

(٢) في النسخة (ر): «دعوت بالطرف»، وفي النسخة (ي): «بطرَف»..

(٣) هو صُرَيْم بن معشر، من بني تغلب، سُمّي أفنون ببيتٍ قاله. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ٣٣١/١ رقم ٦٩، الاشتقاق ٣٣٦، المؤتلف والمختلف ١٥١، السمط ٦٨٤، ألقاب الشعراء ٣١٧، شرح النقائض ٨٨٦، شرح المفضّليّات (رقم ٦٥)، خزانة الأدب للبغدادي ٤٦٠/٤، الأغاني ٥٥/١١، معجم البلدان ٢٤٣/١ (مادّة: الأُلاهة)، المحبَّر لابن حبيب ٢٠٤، شعراء النصرانية ٢٠٠، وعند الآمدي اسمه: «ظالم بن معشر».

(٤) أنظر: الشعر والشعراء ١٥٩/١ و٣٣٢، شرح النقائض ٨٨٦، الحيوان ١٣٥/٣، المحبَّر ٢٠٤، الأغاني ٥٥/١١ مع اختلاف بعض الألفاظ.

يوم الكُلاب الأوّل[1]

قال ابن الكلبيّ: أوّل مَن اشتدّ[2] مُلكه من كِندة حُجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الكِنْديّ، فلمّا هلك مَلَك بعده ابنُه عمرو مثل مُلك أبيه، فسُمّي المقصور، لأنّه قُصِر على ملك أبيه، فتزوّج عمرو أمّ أُناس[3] بنت عوف بن مُحلّم الشيبانيّ، فولدت له الحارثَ، فملك بعد أبيه أربعين سنة.

وقيل: ستّين سنة.

فخرج يتصيّد فرأى عانة، وهي حُمْر الوحش، فشدّ عليها، فانفرد منها حمار، فتتبّعه وأقسم أن لا يأكل شيئاً قبل[4] كبده، وهو بمُسْحُلان[5]، فطلبته الخيلُ ثلاثة أيّام حتّى أدركته، فأُتي به وقد كاد يموت من الجوع، فشُوِيَ على النار وأُطعم من كبِده وهي حارّة، فمات.

وكان الحارث فرّق بنيه في قبائل مَعَدّ، فجعل حُجراً في بني أسد وكِنانة، وهو أكبر ولده؛ وجعل شُرَحْبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم وبني أسيِّد بن عمرو بن تميم، والرِّباب؛ وجعل سَلَمَة، وهو أصغرهم، في بني تغلب، والنَّمِر بن قاسط، وبني سعد بن زيد مَناة بن تميم؛ وجعل ابنَه مَعْدي كَرِب، ويُعرف بغَلْفاء، في قيس عَيْلان، وقد تقدّم هذا في قتل حُجر أبي امرىء القيس، وإنّما أعدناه هاهنا للحاجة إليه.

فلمّا هلك الحارث تشتّت أمرُ أولاده وتفرّقت كلمتُهم، ومشى بينهم الرجالُ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم أمرهم حتّى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش. فسار شُرَحْبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكُلاب، وهو

---

(١) المحبَّر لابن حبيب ٢٠٤ ـ ٢٠٦ و ٣٧٠، الأغاني ٩/٨٢، تاريخ اليعقوبي ١/٢١٦، ٢١٧، و ٢٢٥، جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ و ٤٢٧، العقد الفريد ٥/٢٢٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٧، نقائض جرير والفرزدق ١/٤٥٢ طبعة ليدن ١٩٠٧، المفضّليّات ٤٢٨، معجم البلدان ٤/٤٧٢، نهاية الأرب ١٥/٤٠٦، المختصر في أخبار البشر ١/٧٤، معجم ما استعجم ٤/١١٣٢.
والكُلاب: بالضمّ، وآخره باء موحّدة. وادٍ يُسلك بين ظهري ثَهْلان. وثهلان: جبل في ديار بني نمير لاسم موضعين أحدهما اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «أشدّ».

(٣) في النسخة (ي): «اياس». وهو (أُلْناس بن مُضَر)، وقد مرّ في ذكر مقتل كُلَيب.

(٤) في النسخة (ي): «غير».

(٥) مُسْحُلان: بالضمّ ثم السكون ثم حاء مهملة مضمومة. قيل هو ملتقى النخلتين اليمانية والشآميّة. وقيل: بطن نخلة بناحية مكة على مرحلة بينها وبين مُغَيْثة الماوان. (معجم البلدان ٥/١٢٥).

ماء بين البصرة والكوفة. وأقبل سَلَمَة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً، وهم قوم كانوا مع الملوك من شُذّاذ العرب، فأقبلوا إلى الكُلاب وعلى تغلِب السفّاح بن خالد بن كعب بن زهير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض. فلمّا كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرِّباب بكرَ بن وائل وانهزموا، وثبتت بكر، وانصرفت بنو سعد ومَنْ معها عن تغلِب، وصبرت تغلب، ونادى منادي (شرحبيل: مَنْ أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي)[1] سَلَمَة: مَنْ أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل. فاشتدّ القتالُ حينئذ، كلّ يطلب أن يظفر، لعلّه يصل إلى قتْل أحد الرجلَيْن، ليأخذ مائة من الإبل. فكانت الغلبة آخر النهار لتغلِب وَسَلَمَة، ومضى شرحبيل منهزماً، فتبعه ذو السُّنَيْنة التغلبيّ، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطنّ رجله[2].

وكان ذو السُنَينة أخا أبي حنش[3] لأمّه، فقال لأخيه: قتلني الرجل! وهلك ذو السُّنَينة، فقال أبو حَنَش لشرحبيل: قتلني الله إن لم أقتلْك! وحمل عليه فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللبنَ اللبنَ! يعني الدِيَة. فقال: قد هرقتَ لبناً كثيراً! فقال: يا أبا حنش أملكاً بسوقة؟ فقال: إنّ أخي ملكي. فطعنه فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عمّ له، فأتاه به وألقاه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته أرفقَ[4] من هذا! وعُرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه. فهرب أبو حَنَش منه، فقال سَلَمَة:

ألا أبْلِغْ أبا حنشٍ رسولاً ... فما لك لا تجيء إلى الثّوابِ
لتعلم أنّ خيرَ الناسِ طُرّاً[5] ... قتيلٌ بين أحجارِ الكُلابِ
تداعتْ حوله جُشَمُ بن بكر ... وأسلمه جَعَاسِيسُ[6] الرِّبابِ[7]

فأجابه أبو حَنَش فقال:

أُحاذر أن أجيئكَ ثمّ تحبو ... حِبَاءَ أبيك يوم صُنَيْبعاتِ
وكانت غَدْرةٌ[8] شَنْعاء تهفُو ... تقلّدها أبوك إلى المماتِ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٢) في النسخة (ب) إضافة: «فقتله».
(٣) في النسختين (ب) و(ر): «جيش».
(٤) في النسختين (ب) و(ي): «اوفق».
(٥) في العقد الفريد ٥/٢٢٣ «مَيْتاً».
(٦) في النسختين (ب) و(ي): «جواسيس». والجعاسيس: جمع جعوس وهو القصير الذميم.
(٧) أنظر العقد الفريد ٥/٢٢٣. نهاية الأرب ١٥/٤٠٧ وفي لسان العرب (مادّة: جعس) البيت لعمرو بن معد يكرب، كما رُوِي لمعدي كرب أخي شرحبيل.
(٨) في الأصل، والنسخة (ر): «عُذرة».

وكان سبب يوم صُنَيْبِعات[1] أنّ ابناً للحارث كان مسترضعاً في تميم وبكر، ولدغَتْهُ حيّة فمات، فأخذ خمسين رجلاً من تميم وخمسين رجلاً من بكر فقتلهم به.

ولمّا قُتل شُرَحْبيل قام بنو زيد مَناة بن تميم دون أهله وعياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتّى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم؛ ولمّا بلغ خبر قتله أخاه معدي كرِب، وهو غَلْفاء، قال يرثيه:

إنّ جنْبي عن الفراش لَنابي[2] كتجافي الأسَرِّ[3] فوقَ الظِّرابِ[4]
مِن حديثٍ نَمَى إليّ فما تَرْ قَأُ عيني[5] ولا أَسِيغُ شرابي
مُرّة كالذُّعافِ أكتمها النا سَ على حَرِّ مَلَّةٍ كالشهابِ
من شُرَحْبيل إذ تعَاوَرَهُ الأر ماحُ من بَعْد لذّةٍ وشبابِ[6]
يا ابنَ أمي ولو شهدتُك إذ تد عو تميماً وأنتَ غيرُ مُجابِ
ثمّ طاعنتُ من ورائك حتّى يُبْلَغَ الرحبُ أو تُبزَّ ثيابي
أحسنتْ وائلٌ وعادتُها الإحـ ـسان بالحِنْو يوم ضَرْب الرقابِ
يومَ فرّتْ بنو تميم وولّت خيلهم يكْتَسِعْن[7] بالأذنابِ

وهي طويلة.

ثمّ إنّ تغلِب أخرجوا سَلَمَة من بينهم، فلجأ إلى بكر بن وائل وانضمّ إليهم، ولحقت تغلِب بالمنذر بن امرىء القيس اللخميّ.

(الكُلاب: بضمّ الكاف.

أُسَيّد بن عمرو: بضمّ الهمزة، وفتح السين المهملة، وتشديد الياء المثنّاة من تحت.

وذو السُّنَيْنَة: بضمّ السين المهملة، تصغير سنّ.

---

(١) صُنَيْبعات: جمع الصُنَيْبِعَة. وهو انقباض البخيل عند المسألة. وهو موضع في قولِ بعضهم:
هيهات حجر من صُنَيْبعات
(معجم البلدان ٣/٤٣١) وهو بضمّ أوله، وفتح ثانيه، بعده الياء أخت الواو، ثم الباء المعجمة بواحدة، والعين المهملة، على لفظ التصغير: مياه لغطفان. (معجم ما استعجم ٣/٨٤٣).

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «كباب»، وفي (ي): «كبانى».

(٣) الأسرّ: داء في سُرَّة البعير إذا برك تجافى.

(٤) الظراب: جمع ظَرِب: ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طرفه.

(٥) في تاريخ اليعقوبي ١/٢١٧ «فما يرقأ دمعي».

(٦) في الأصل، والنسخة (ر): «وشراب».

(٧) في النسخة (ي): «كمستغب». والأبيات في نقائض جرير والفرزدق، وفيها «يتقين». (ص ١٢٢).

والرِّباب: بكسر الراء، وتخفيف الباء الأولى الموحّدة).

يوم أُوراة الأوّل[1]

وهو يوم كان بين المنذر بن امرىء القيس وبين بكر بن وائل.

وكان سببه أنّ تغلب لمّا أخرجت سَلَمَة بن الحارث عنها التجأ إلى بكر بن وائل، كما ذكرناه آنفاً، فلمّا صار عند بكر أذعنَتْ له وحشدت عليه وقالوا: لا يملكنا غيرُك، فبعث إليهم المنذرُ يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك، فحلف المنذرُ ليسيرنّ إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنّهم على قُلّة جبل أُوارة، حتّى يبلغ الدمُ الحضيضَ.

وسار إليهم في جموعه، فالتقوا بأُوارة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجْلت الواقعةُ عن هزيمة بكر، وأُسر يزيد[2] بن شُرَحْبيل الكنديّ، فأمر المنذرُ بقتله، فقُتل، وقُتل في المعركة بَشَرٌ كثير، وأسر المنذرُ من بكر أسرى كثيرةٍ، فأمر بهم فذُبحوا على جبل أُوارة، فجعل الدمُ يجمد. فقيل له: أبيتَ اللعَن، لو ذبحتَ كلّ بكريّ على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض! ولكن لو صَبَبْتَ عليه الماء! ففعل فسال الدم إلى الحضيض، وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار.

وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر، فكلّمه في سبْي بكر بن وائل، فأطلقهنّ المنذرُ، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسيّ إلى المنذر في بكر:

ومنّا الذي أعطاه بالجمعِ ربُّه ... على فاقةٍ وللمُلوك هِبَاتُهَا
سبايا بني شيبانَ يومَ أُوارةٍ ... على النارِ إذ تُجْلَى له فتياتُها[3]

يوم أُوارة الثاني[4]

كان عمرو بن المنذر اللخميّ قد ترك ابناً له اسمه أسعد عند زُرارة بن عُدَس[5] التميميّ، فلمّا ترعرع مرّتْ به ناقةٌ سمينة فبعث بها فرمى ضرعها، فشدّ عليه ربّها سُوَيْدُ

(١) أُوارَة: بالضم. اسم ماء أو جبل لبني تميم. قيل بناحية البحرين (معجم البلدان ١/٢٧٣ وانظر: معجم ما استعجم ١/٢٠٧) وانظر عن يوم أوارة في الأغاني ٢٢/١٨٧.

(٢) في النسختين (ب) و(ي): «زيد».

(٣) في الطبعة الأوربية «تُجلى به قَبَساتُها».
والبيتان في أيام العرب ٩٩، المفصّل في تاريخ العرب ٣/٢٢٧.

(٤) تاريخ سني ملوك الأرض ٩٣، ٩٤، تاريخ اليعقوبي ١/٢٠٩، نهاية الأرب ١٥/٤٠٧، العقد الفريد ٥/٢٢٤ وقيل ان يوم الكُلاب كان متّصلاً بيوم الصّفقة. وانظر عن اليوم: الأغاني ٢٢/١٩٠.

(٥) في النسخة (ت): «عبس»، والمثبت يتفق مع: تاريخ اليعقوبي ١/٢٢٩، المحبَّر ٢٤٧؛ جمهرة أنساب العرب ٢٣٢، العمدة ٢/٢١٦.

أحد بني عبد الله بن دارم التميميّ فقتله. وهرب فلحق بمكّة فحالف قريشاً.

وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زُرارة فأخفق، فلمّا كان حِيَال جبلي طيّء قال له زُرارة: أيّ ملكٍ[1] إذا غزا لم يرجع ولم يُصَبْ[2]، فمِلْ على طيّء فإنك بحيالها، فمال إليهم فأسر وقتل وغنم، فكانت في صدورر طيء على زُرَارة، فلمّا قتل سويد أسْعَدَ، وزُرارة يومئذ عند عمرو، قال له عمرو بن مِلْقط الطائيّ يحرّض عَمراً على زُرَارة:

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـمـراً بـأنّ الـ ـمـرء لـم يُـخْـلَـقْ صُـبـارَهْ[3]
هـا إنّ عَـجْـزَةَ أمّـهِ بـالـسـفـح أسـفَـلَ مـن أُوارَهْ[4]
فـاقـتُـلْ زُرارة لا أرى فـي الـقـوم أوْفَـى[5] مـن زُرَارَهْ[6]

فقال عمرو: يا زرارة ما تقول؟ قال كُذِبْتَ، قد علمتَ عداوتهم فيك. قال: صدقت. فلمّا جنّ الليلُ سار زُرارة مجدّاً إلى قومه، ولم يلبث أن مرض. فلمّا حضرته الوفاةُ قال لابنه: يا حاجب ضُمّ إليك غلمتي في بني نَهْشل.

وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو: عليك بعمرو بن مِلْقَط، فإنّه حرّض عليّ الملك. فقال له: يا عمّاه لقد أسْندتَ إليّ أبْعَدَهُما شقّةً وأشدّهما شوكة[7].

فلمّا مات زُرارة تهيّأ عمرو بن عمرو في جمْع، وغزا طيّئاً، فأصاب الطريفَيْن: طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، وقتل الملاقط؛ فقال علقمة بن عَبَدة في ذلك:

ونحن جلبنا من ضريّةَ[8] خيلنا نُجَنّبُهَا[9] حَدّ الإكام قطاقطا
أصبْنا الطريفَ والطريفَ بن مالك وكان شِفاءُ الواصبين[10] الملاقطا

فلمّا بلغ عمرَو بنَ المنذر وفاة زُرارة غزا بني دارم، وقد كان حلف ليقتلنّ منهم مائة، فسار يطلبهم حتّى بلغ أُوارة، وقد نَذِروا به فتفرّقوا. فأقام مكانه وبثّ سراياه فيهم،

---

(١) في النسخة (ر): «أن مثلك».
(٢) في النسخة (ي): «ينصب».
(٣) صُباره: الحجارة الملس.
(٤) البيت في معجم البلدان ١/٢٧٤.
(٥) في الأغاني ٢٢/١٩١ «أفضل».
(٦) أنظر الأغاني ٢٢/١٩١ باختلاف وزيادة عمّا هنا.
(٧) أيام العرب ١٠٣.
(٨) في النسختين (ب) و(ت): «ضريبة».
(٩) في النسختين (ب) و(ي): «يحينها».
(١٠) وفي رواية «لو أصبنا».

فأتوه بتسعة وتسعين رجلاً، سوى من قتلوه في غارَاتهم فقتلهم، فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه، فأخذه ليقتله ليتمّ مائة[1]، ثمّ قال: «إنّ الشقيّ وافدُ البراجم»[2]! فذهبت مثلاً.

وقيل: إنّه نذر أن يحرّقهم، فلذلك سُمّي محرَّقاً[3]، فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلاً، واجتاز رجل من البراجم فشمّ قُتار اللحم، فظنّ أنّ الملك يتّخذ طعاماً فقصده. فقال: من أنت؟ فقال: أبيتَ اللعن أنا وافد البراجم[4]. فقال: إنّ الشقيّ وافدُ البراجِم؛ ثمّ أمر به فقُذف في النار، فقال جرير للفرزدق:

أين الذين بنار[5] عمرٍو أُحْرِقوا[6] ... أم أين أسعدُ فيكُمُ[7] المسترضَعُ[8]

وصارت تميم بعد ذلك يعيَّرون بحُب الأكْل، لطمع البرجميّ في الأكل، فقال بعضهم:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم ... فسَرّك أن يعيش فجىء بزادِ[9]
بِخُبْزٍ أو بلحم أو بتَمرٍ ... أو الشيءِ الملفَّق في البِجادِ
تراه يُنقّب البطْحاءِ حولاً ... ليأكلَ رأسَ لقمانِ بنِ عادِ

قيل: دخل الأحنف بن قيس[10] على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: ما الشيء الملفّق في البجاد يا أبا بحر؟ قال: السخينة يا أمير المؤمنين[11].

والسخينةُ طعام تُعَيَّر به قريش، كما كانت تعيَّر تميم بالملفّف في البجاد.

قال: فلم يُرَ مُتمازِحَانِ أوقرَ منهما.

---

(١) في النسخة (ي): «فأتخذ».
(٢) مجمع الأمثال للميداني ١/٩٥، العمدة لابن رشيق ٢/٢٠٥، معجم البلدان ١/٢٧٤.
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «حارق البراجم».
(٤) يقال له: عمّار من بني مالك بن حنظلة.
(٥) في النسخة (ي): «بسيف».
(٦) في النسخة (ي): «قتلوا».
(٧) في النسخة (ي): «منكم الأسعد».
(٨) البيت في نقائض جرير والفرزدق ٦٥٢ و ١٠٨١، وثمار القلوب للثعالبي ١٠٨.
(٩) في النسختين (ب) و(ي): «فحى زاد».
(١٠) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصَين، الأمير الكبير العالم النبيل، أحد من يُضرب بحلمه وسُؤدده المثل. أنظر مصادر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/٨٦.
(١١) لسان العرب ١٣/٢٠٦ (سخن)، تاج العروس ٩/٢٣٢ (سخن).

ذكر قتل زُهَيْر بن جَذيمة وخالد بن جعفر بن كِلاب والحارث بن ظالم المرّيّ وذكر يوم الرّحْرَحان[1]

كان زُهَيْر بن جَذيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قَطيعة بن عبْس العبْسيّ، وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء، سيّد قيس عَيْلان، فتزوّج إليه ملك الحيرة، وهو النعمان بن امرىء القيس جدّ النعمان بن المنذر لشرفه وسُؤْدده، فأرسل النعمان إلى زهير يستزيره[2] بعض أولاده، فأرسل ابنَه شأساً فكان أصغر ولده، فأكرمه وحباه، فلمّا انصرف إلى أبيه كساه حُللاً وأعطاه مالاً طيباً[3]. فخرج شأس يريد قومه، فبلغ ماءً من مياه غنيّ بن أعصُر[4]، فقتله رَبَاح بن الأشلّ الغنويّ، وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه.

وقيل لزُهَيْر: إنّ شأساً أقبل من عند الملك، وكان آخر العهد به بماء من مياه غنيّ. فسار زهير إلى ديار غنيّ، وهم حلفاء في بني عامر بن صَعْصَعة، فاجتمعوا عنده، فسألهم عن ابنه، فحلفوا أنّهم لم يعلموا خبره، قال: لكنّي أعلمه، فقال له أبو عامر: فما الذي يُرْضيك منّا؟ قال: واحدة من ثلاث: إمّا تُحْيون ولدي، وإمّا تسلّمون إليّ غنيّاً حتّى أقتلهم بولدي، وإمّا الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم. فقالوا: ما جعلتَ لنا في هذه مخرجاً، أمّا إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلاّ الله، وأمّا تسليم غنيّ إليك فهم يمتنعون ممّا يمتنِع منه الأحرار، وأمّا الحرب بيننا فوالله إنّنا لَنُحِبّ رضاك ونكره سُخْطَك، ولكنْ إنْ شئتَ الدِيّة، وإن شئتَ تطلب قاتلَ ابنك فنسلّمه إليك أو تهب دمه، فإنّه لا يضيع في القرابة والجوار. فقال: ما أفعل إلاّ ما ذكرتُ. فلمّا رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدّي زهير على أخواله من غنيّ قال: والله ما رأينا كاليوم تَعَدِّيَ رجل على قومه. فقال له زهير: فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنيّاً؟ قال: نعم؛ فانصرف زهير وهو يقول:

فلولا كلاب قد أخذتُ قَرِينَتي ... بردّ غنيٍّ أعبداً وموالياً

---

(١) رَحْرحان: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتكرير الراء والحاء المهملة، وآخره نون. اسم جبل قريب من عُكاظ خلف عرفات. (معجم البلدان ٣/٣٦).

وانظر حول الموضوع: معجم ما استعجم للبكري ٢/٦٣٣ (مادّة الربذة) العقد الفريد ٥/١٣٥ و ١٣٩، جمهرة أنساب العرب ٢٥١، المحبَّر ١٩٢ و١٩٣ و ٢٤٩، نهاية الأرب ١٥/٣٤٦ و ٣٤٩، المفصّل في تاريخ العرب ٣/٢١٣، الأغاني ١١/٨٢.

(٢) في النسخة (ي): «لينبذ».

(٣) في النسخة (ب): «طبا»، وفي النسخة (ت): «طفا».

(٤) أنظر عنه في جمهرة أنساب العرب ٢٤٧ وهو: غنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس عَيْلان بن مُضَر. ولهم ظاغنة ضخمة بطفوف الشام.

ولَكن حمْتهم عـصبـة عـامـريّـة   يهزّون في الأرض القصار[1] العواليا
مساعيرُ في الهيجا مصاليتُ في الوغى   أخـوهم عـزيـز لا يخـاف الأعـاديـا
يقيمـون في دار الحفـاظ تكـرّمـاً   إذا مـا فُنِيُّ[2] القوم أضحت خـواليا

ثمّ إنّه أرسل امرأةً وأمرها أن تكتم نسبها، وأعطاها لحم جَزُور سمينة، وسيّـرها إلى غنيّ لتبيـع اللحم بطيب، وتسـأل عن حال ولـده. فـانـطلقت المـرأةُ إلى غنيّ وفعلت مـا أمرها، فانتهت إلى امرأة رباح[3] بن الأشلّ وقـالت لها: قـد زوّجتُ بنتاً لي وأبغي الـطيب بهذا اللحم، فأعطتها طيباً وحدّثتها بقتل زوجها شأساً. فعادت المـرأةُ إلى زهير وأخبـرته، فجمع خيله يغير على غنيّ، حتّى قتل منهم مقتلة عظيمـة، ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر، وعظُم الشرّ.

ثمّ إنّ زهيراً خرج في أهل بيته في الشهر الحرام إلى عُكاظ، فالتقى هـو وخالـد بن جعفر بن كلاب. فقال له خالد: لقـد طال شـرّنا منـك يا زهيـر! فقال زهيـر: أما والله مـا دامت لي قوّة أدرك بها ثأراً فلا انصرامَ له.

وكانت هوازن تؤتي زهيرَ بن جَذيمة الإتاوةَ كلّ سنة بعكُاظ، وهو يسـومها الخسْف، وفي أنفسهـا منه غيظ وحقدُ، ثمّ عاد خـالد وزهيـر إلى قومهمـا، فسبق خـالـد إلى بـلاد هوازن، فجمع إليه قومه وندبهم إلى قتال زهير، فأجابوه وتأهّبوا للحرب، وخرجوا يريدون زهيـراً وهم على طريقـه، وسار زهيـر حتّى نزل على أطـراف بلاد هـوازن، فقال لـه ابنـه قيس: انْجُ بنا من هذه الأرض فإنّا قريب من عدوّنا. فقال له: يا عاجز وما الـذي تخوّفني به من هوازن وتتّقي شرّها؟ فأنا أعلمُ الناس بها. فقال ابنُه: دع عنك اللجاجَ وأطِعْني وسِرْ بنا، فإنّي خائف عاديتهم.

وكانت تُماضر بنت الشريـد بن رياح بن يَقَـظَةَ بن عُصَيّة[4] السُّلميّـة[5] أمّ ولد زهيـر، وقد أصاب بعض إخوتها[6] دمـاً فلحق ببني عامـر، وكان فيهم، فـأرسله خالـد عيناً ليـأتيه بخبر زهير، فخرج حتّى أتاهم في منزلهم، فعلم قيس بن زهير حـاله، وأراد هـو وأبوه أن يوثقوه ويأخذوه معهم إلى أن يخرجوا من أرض هوازن، فمنعت أخته، فأخذوا عليه العهودَ

---

(١) في النسخة (ر): «الفضا».
(٢) في النسختين (ب) و(ي): «غني»، وفي النسخة (ت): «عيسى»، وفي النسخة (ر): «اللوم عني».
(٣) في النسخة (ي): «رياح».
(٤) في النسخة (ب): «عصبة»، وفي النسخة (ي): «عصبية».
(٥) في النسخة (ي): «السليمية».
(٦) في النسخة (ر): «ولدها».

ألاّ يخبر بهم وأطلقوه، فسار إلى خالد، ووقف إلى شجرة يخبرها الخبر، فركب خالد ومَنْ معه إلى زهير، وهو غير بعيد منهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلاً، ثمّ تعانقا فسقطا على الأرض، وشدّ ورقاء بن زهير على خالد، وضربه بسيفه فلم يصنع شيئاً لأنّه قد ظاهر بين درعَيْن، وحمل جُنْدُح بن البكّاء، وهو ابن امرأة خالد، على زهير فقتله، وهو وخالد يعتركان، فثار خالد عنه، وعادت هوازن إلى منازلها، وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم، فقال ورقاء بن زهير[1] في ذلك:

رأيتُ زهَيْراً تحتَ كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجول أبادِرُ
إلى بطلَيْن يَعْتِران[2] كلاهما ... يريد رياش السيف[3] والسيف نادِرُ
فُشلّتْ يميني يوم أضربُ خالداً ... ويمنعه منّي الحديدُ المُظاهرُ
فيا ليتَ أنّي[4] قبل أيّام خالدٍ ... وقبل[5] زهير لم تلدْني تُمَاضِرُ
لَعَمْري لقد بُشّرْتِ بي إذ وَلَدْتِني ... فماذا الذي ردّتْ عليكِ البشائرُ؟[6]
فلا يَدْعُني قومي صَريحاً بحرّةٍ ... لئن كنتُ مقتولاً ويسلم عامِرُ
فطِرْ خالدُ إن كنتَ تسطيع طيرةً ... ولا تَقَعَنْ إلاّ وقلبك حاذِرُ
أتَتْك المنايا إن بقيت بضربةٍ ... تفارق منها العيشَ والموتُ حاضِرُ

وقال خالد يمنُّ على هوازن بقتله زهيراً:

أبلغْ هوازنَ كيف تَكْفُر بعْدما[7] ... أعتقتُهم فتوالدوا أحرارا
وقتلتُ ربّهُمُ زهيراً بعْدما ... جدَعَ الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ مَهرَ نسائهم[8] ودياتهم ... عَقْلَ الملوك هَجائناً وبِكارا[9]

وكان زهير سيّد غطفان، فعلم خالد أنّ غطفان ستطلبه بسيّدها، فسار إلى

---

(١) أنظر عنه في جمهرة أنساب العرب ٢٥١.

(٢) في النسخة (ب): «يعيران»، وفي النسخة (ي): «يعتركان». وفي العقد الفريد ١٣٧/٥، «ينهضان»، وكذلك في الأغاني ٨٩/١١.

(٣) في العقد الفريد: «يريدان نصل السيف»، وفي الأغاني «يُريغان».

(٤) في الأغاني ٨٩/١١: «فيا ليتني من قبل».

(٥) في العقد الفريد ١٣٧/٥، ونهاية الأرب ٣٤٨/١٥ «ويوم».

(٦) حتى هنا تنتهي الأبيات في الأغاني ٨٩/١١ وفي العقد الفريد ١٣٦/٥، ١٣٧، ونهاية الأرب ٣٤٧/١٥ و٣٤٨ وورد البيتان الأولان أيضاً في الأغاني ٩٣/١١.

(٧) في الأغاني ٩٠/١١ والعقد الفريد ١٣٧/٥ ونهاية الأرب ٣٤٨/١٥:
«بل كيف تكفرني هوازن بعدما»

(٨) في المصادر المذكورة «بناتهم».

(٩) هكذا في العقد الفريد ونهاية الأرب، وفي الأغاني «أبكاراً».

النعمان بن امرىء القيس بالحيرة فاستجاره، فأجاره. فضرب له قبّةً، وجمع بنو زهير لهوازن، فقال الحارث بن ظالم المرّيّ: اكفوني حرب هوازن، فأنا أكفيكم خالد بن جعفر.

وسار الحارث حتى قدِم على النعمان، فدخل عليه وعنده خالد، وهما يأكلان تمراً، فأقبل النعمان يسائله، فحسده خالد، فقال للنعمان: أبيتَ اللعنَ! هذا رجل لي عنده يد عظيمة، قتلت زهيراً وهو سيّد غطفان، فصار هو سيّدها. فقال الحارث: سأجزيك على يدك عندي، وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله، فيقع من بين أصابعه من الغضب، فقال عُرْوَة لأخيه خالد: ما أردتَ بكلامه وقد عرفتَهُ فتّاكاً؟ فقال خالد: وما يخوّفني منه؟ فوالله لو رآني نائماً ما أيقظني.

ثمّ خرج خالد وأخوه إلى قبّتهما فشرّجاها عليهما، ونام خالد وعُروة عند رأسه يحرسه، فلمّا أظلم الليل انطلق الحارث إلى خالد، فقطع شرج القبّة ودخلها وقال لعُروة: لئن تكلّمتَ قتلتُك! ثمّ أيقظ خالداً، فلمّا استيقظ قال: أتعرفني؟ قال: أنتَ الحارث. قال: خذْ جزاء يدك عندي! وضربه بسيفه المَعْلوب فقتله، ثمّ خرج من القبّة وركب راحلته وسار.

وخرج عُروة من القبّة يستغيث، وأتى بابَ النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر، فبثّ الرجالَ في طلب الحارث.

قال الحارث: فلمّا سرتُ قليلاً خفتُ أن أكون لم أقتلْه فعُدتُ متنكّراً واختلطتُ بالناس، ودخلتُ عليه فضربته بالسيف، حتّى تيقّنْتُ أنّه مقتول، وعُدتُ[١] فلحقتُ بقومي؛ فقال عبد الله بن جَعْدة الكلابِيّ:

يا حارِ لو نبّهتَهُ لَوَجَدْتَهُ ... لا طائشاً رَعِشاً[٢] ولا مِعْزالا[٣]
شقّتْ عليه الجعفريّة[٤] جيبَها ... جزَعاً[٥] وما تبكي هناك[٦] ضَلالا
فانعوا أبا بحر بكلّ مُجَرّبٍ ... حرّان[٧] يُحْسَبُ[٨] في القناة هلالا[٩]

---

(١) في النسخة (ي): «وعديت».
(٢) الرعِش: مثل الكتف: الجبان.
(٣) المِعزال: من لا رمح له.
(٤) في العقد الفريد ١٣٨/٥ ونهاية الأرب ٣٤٩/١٥: «عليك العامرية».
(٥) في المرجعين السابقين: «أسفاً».
(٦) في النسخة (ب): «عليه». وفي المرجعين، «عليك».
(٧) في النسختين (ب) و(ت): «جران».
(٨) في النسخة (ب): «يحبب».

فَلْيُقْتلنّ [1] بخالد سَرَوَاتِكم وَلْيُجْعَلُنّ لظالمٍ تمثالا [2]

فأجابه الحارث:

تالله قد نبّهتُه فوجدته رخْوَ اليدَيْن مُواكِلاً عسقالا
فعلوتُه بالسيف أضرب رأسه حتّى أضلّ بسَلْحِهِ السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره، وهوازن تطلبه لتقتله بسيّدها خالد، فلحِق، بتميم، فاستجار بضَمْرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم، فأجاره على النعمان وهوازن، فلمّا علم النعمان ذلك جهّز جيشاً إلى بني دارم عليهم ابن الخِمْس التغلبيّ، وكان يطلب الحارث بدم أبيه لأنّه كان قتله.

ثمّ إنّ الأحوص بن جعفر أخا خالد جمع بني عامر وسار بهم، فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم، وساروا، فلمّا صاروا بأدنى مياه بني دارم رأوا امرأةً تجني الكمأة ومعها جمل لها، فأخذها رجلٌ من غنيّ وتركها عنده. فلمّا كان الليل نام، فقامت إلى جملها فركبْته، وسارت حتّى صبّحت بني دارم، وقصدت سيّدهم زُرارة بن عُدَس [3]، فأخبرته الخبرَ وقالت: أخذني أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم.

قال: فصِفيهم لي. قالت: رأيتُ رجلاً قد سقط حاجباه، فهو يرفعهما بخِرْقة، صغير العَيْنَين، وعن أمره يصدرون. قال: ذاك الأحوص وهو سيّد القوم.

قالت: ورأيتُ رجلاً قليل المنطق، إذا تكلّم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبِل لفحْلها، أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له يلازمانه.

قال: ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطُفَيْل.

قالت: ورأيتُ رجلاً جسيماً، كأنّ لحيته محمّرةٌ مُعَصْفرةٌ.

قال: ذاك عوف بن الأحوص.

قالت: ورأيتُ رجلاً هلقاماً جسيماً.

قال: ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب.

قالت: ورأيتُ رجلاً أسود أخنس قصيراً [4].

---

(٩) البيت ليس في المرجعين.

---

(١) في العقد، ونهاية الأرب «فلنقتلنّ».

(٢) في العقد، والنهاية: «ولَنَجْعَلَنْ للظالمين نَكالاً».

(٣) في النسخة (ب): «قيس»، والنسخة (ت): «عبس». وقد مرّ قبل قليل.

(٤) في النسخة (ي): «صغيراً».

قال: ذاك ربيعة بن قُرْط بن عبد الله بن أبي بكر.

قالت: ورأيتُ رجلاً أقرن الحاجبَيْن، كثير شعر السَّبْلة، يسيل لُعابُـه على لحيته إذا تكلّم.

قال: ذاك جُنْدُح بن البكّاء.

قالت: ورأيتُ رجلاً صغير العينَين، ضيّق الجبهة، يقود فرساً له معه جَفيرٌ لا يفارق يده.

قال: ذاك ربيعة بن عُقَيْل بن كعب.

قالت: ورأيتُ رجلاً معـه ابنان أصبهـان، إذا أقبلا رمـاهما النـاس بأبصـارهم، فإذا أدبرا كانا كذلك.

قال: ذاك الصَّعِق بن عمرو بن خُوَيْلد بن نُفَيْل، وابناه يزيد وزُرْعة.

قالت: ورأيتُ رجلاً لا يقول كلمة إلاّ وهي أحدّ من شفرة.

قال: ذاك عبد الله بن جَعْدة بن كعب[1].

وأمـرها زُرَارة فـدخلت بيتها، وأرسـل زُرارة إلى الرُّعـاء يأمـرهم بـإحضـار الإبـل، ففعلوا. وأمرهم فحملوا الأهلَ والأثقالَ، وساروا نحو بلاد بَغيض، وفـرّق الرسـلَ في بني مالك بن حنظلة فأتوه، فأخبرهم الخبر وأمرهم، فوجّهـوا أثقالهم إلى بـلاد بَغيض، ففعلوا وباتوا معدّين.

وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنويّ حال الظعينة وهَرَبَها، فسُقط في أيديهم واجتمعوا يديرون الرأي، فقال بعضهم: كـأنّي بالـظعينة قـد أتت قومهـا فأخبـرتهم الخبر، فحـذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم إلى بلاد بَغيض، وباتوا مُعدّين لكم في السلاح، فاركبوا بنـا في طلب نعمهم وأموالهم، فإنّهم لا يشعرون حتّى نُصيب حاجتنـا وننصرف. فـركبوا يـطلبون ظُعن بني دارم، فلمّـا أبطأ القـوم عن زُرارة قال لقـومه: إنّ القـوم قد تـوجّهوا إلى ظُعنكم وأمـوالكم فسيروا إليهم. فسـاروا مُجِـدّين فلحِقـوهم قبـل أن يصلوا إلى الـظعن والنَّعَم، فـاقتتلوا قتـالاً شـديـداً، فقتلت بنـو مـالـك بن حنـظلة ابن الخمس التغلبيّ رئيس جيش النعمـان، وأسرت بنـو عامـر مَعْبد بن زُرارة، وصبـر بنو دارم حتّى انتصف النهـارُ، وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمـان، وعادوا إلى بلادهم ومعبد أسير مع بني عامر، فبقي معهم حتّى مات.

وفي تلك الأيّام أيضاً مات زُرارة بن عُدَس.

وقيل في استجارة الحارث ببني تميم غير ذلك، وهو أنّ النعمان طلب شيئاً يغيظ به

(١) الخبر في الأغاني ١١/١٢٦، ١٢٧.

الحارث بعد قتل خالد وهربه، فقيل له: كان قصد الحيرة، ونـزل على عِياض بن دَيْهَث[1] التميميّ، وهو صديق له، فبعث إليه النعمان فأخـذ إبلاً لـه، فركب الحـارث وأتى الحيرة متخفّيـاً، واستنقذ مـاله من الـرعاء وردّه عليـه، وطلب شيئاً يغيظ بـه النعمان، فـرأى ابنه غضبان[2]، فضرب رأسـه بالسيف فقتله، وبلغ النعمـان الخبر فبعث في طلبـه فلم يُدْرَك، فقال الحارث في ذلك:

أَخُصْيَيْ حمار بات يكدُمُ[3] نجمةً[4] أتؤكـل جـاراتي وجـارُك سـالـمُ

فـإنْ تـكُ أذواداً[5] أصَبْتَ ونسْـوةً فهـذا ابن سَلْمَى رأسُـه[6] متفـاقمُ

علوتُ بـذي الحيّات[7] مفـرقَ رأسهِ ولا يـركب المكـروهَ إلاّ الأكـارمُ

فتكتُ بـه كمـا فتكتُ بخـالـدٍ وكـان سلاحي تَحْتـويه الجمـاجمُ[8]

بـدأتُ بتلك وانْثَنَيْتُ بـهـذه[9] وثـالـثـة تبيضّ منهـا المقـادمُ

حسبتَ أبا قابـوسَ أنّك مُخْفِرِي[10] ولمّـا تذُق ثكـلاً[11] وأنفُك راغمُ[12]

---

(١) في النسخة (ب): «هب» وفي النسخة (ي): «وهب». والمثبت يتفق مع المحبّر لابن حبيب ١٩٤.
(٢) في النسخة (ب): «عصيبان»، وفي النسخة (ر): «عصيا».
(٣) يكدم: يعض بأدنى الفم.
(٤) النجم: من النبات ما لاساق له، والشجر ما له ساق طال أو قصر. ونجمة هنا: واحدة النجم، وهو ضـرب من النبت يقـال له الثيـل شبّهه بخصي الحمـار لتحقيره وتصغيـره، أو أنـه مشنـج الـوجـه متغضّنـه، كخصي الحمـار إذا كدم نجمـه، وذلك لصـلابتهـا. (شـرح ديـوان المفضّليّـات لابن الأنبـاري ٦١٦ ـ طبعـة الأبـاء اليسوعيين ببيروت ١٩٣٠ م).
(٥) الذود: القطيع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر.
(٦) هكذا في الأصل والنسخ، والمفضّليّات. وفي الأغاني «أمره».
(٧) ذو الحيّات: اسم سيف الحارث، كانت على سيفه تماثيل حيّات.
(٨) ورد هذا البيت والذي قبله هكذا في الأغاني:

عـلوت بـذي الـحـيّـات مـفـرقَ رأسـه وكـان سـلاحي تـحـتـويـه الـجـمـاجم

فـتـكتُ بـه فـتـكـاً كـفـتـكـي بـخـالـدٍ وهـل يـركـب الـمـكـروهَ إلا الأكـارم

(٩) ورد هذا الشطر في الأغاني:

بـدأت بهـذي ثـم أثنـي بمثلهـا

(١٠) في الأغاني «سابقي».
(١١) في الأغاني «فتكي».
(١٢) الأبيات في شرح المفضّليات ٦١٦، والأغاني ١١/١٠٣، ١٠٤ و١٠٨، ١٠٩.
وقال الأصمعيّ عن البيت الأخير إنه ليس من القصيدة لأنّ المقتول ابن عمرو بن الحـارث جدّ النعمـان الذي كان يكنى أبا قـابوس، والمقتـول الغلام عم أبي قـابوس، وهـذا البيت يرجّـح أن يكون الملك الـذي قتل الحارث ابنه وقتل خالد بن جعفر في جواره هو النعمان بن المنذر، فإنّ أبا قابوس كنية له.
(أنظر: الأغاني ١١/١٠٣حاشية رقم ٢).

كذا قال بعضهم.

وقيل: إنّ المقتول كان شُرَحْبيل بن الأسود بن المنذر، وكان الأسود قد ترك ابنه شُرَحْبيل عند سِنان بن أبي حارثة المرّيّ ترضعه زوجته. فمن هناك كان لِسِنان مال كثير، وكان ابنه هَرِمُ يُعطى منه، فجاء الحارث متخفّياً، فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان، ثمّ أتى امرأةَ سنان فقال: يقول بعلك ابعثي بشُرَحْبيل بن الملك مع الحارث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفّر[1] به، وهذا سرجه علامة. فزيّنته ودفعته إليه، فأخذه وقتله وهرب.

فغزا الأسود بني ذُبْيان وبني أسد بشطّ أرْبك، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وسبى واستأصل الأموال. وأقسم ليقتلنّ الحارثَ، فسار الحارثُ متخفّياً إلى الحيرة ليفتك بالأسود، فبينما هو في منزله إذ سمع صارخةً تقول: أنا في جوار الحارث بن ظالم، وعرف حالها، وكان الأسود قد أخذ لها صرمةً من الإبل، فقال لها: انطلقي غداً إلى مكان كذا، وأتاه الحارث. فلمّا وردت إبلُ النعمان أخذ مالها فسلّمه إليها، وفيها ناقة تسمّى اللقاع، فقال الحارث في ذلك:

إذا سمعتِ حنّة اللقاعِ فادْعي أبا ليلى فنِعْمَ الداعِي
يمشي[2] بغَضْبٍ صارمٍ قطّاعِ يفري به مجامع الصُّداعِ

ثمّ أقبل يطلب مُجيراً، فلم يجرْه أحد من الناس، وقالوا: من يُجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلتَ ولده؟ فأتى زُرارة بن عُدَس، وضَمْرة بن ضَمْرة، فأجاراه على جميع الناس.

ثمّ إنّ عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ لمّا بلغه قتْل خالد بن جعفر، وكان صديقاً له، قال: والله لو وجده يقظانَ[3] ما أقدم عليه، ولوددتُ أنّي لقيته، وبلغ الحارثَ قولُه وقال: والله لآتينّه في رحله، ولا ألقاه إلاّ ومعه سلاحه، فبلغ ذلك ابن الإطنابة فقال أبياتاً، منها:

أبْلِغِ الحارثَ بن ظالمٍ الموعِدَ[4] والناذرَ النُّذورَ عَليّا
أنّما تقتل النيامَ ولا تقتُل يقظان ذا سَلاح كَمِيّا[5]

فبلغ الحارسَ شعرُه، فسار إلى المدينة وسأل عن منزل ابن الإطنابة، فلمّا دنا منه

(١) في النسختين (ب) و(ي): «ينجوا».
(٢) في النسخة (ي): «يغشى».
(٣) في النسخة (ر): «نائماً».
(٤) في الأغاني ١١/١٢١ «الرعديد».
(٥) أنظر أبياتاً أخرى في الأغاني. والكميّ: الشجاع المتكمّى في سلاحه، لأنّه كمّى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة، والجمع كُماةَ، مثل قاضٍ وقُضاة.

نـادى: يا ابن الإطنـابة أغِثْني[1]! فـأتاه عمـرو فقال: مَنْ أنت؟ قـال: رجل من بني فـلان خرجتُ أريد بني فلان، فعرض لـه قوم قـريباً منـك، فأخـذوا ما كـان معي، فاركبْ معي حتّى نستنقذه. فركب معـه ولبس سلاحـه ومضى معه، فلمّـا أبعد عن منـزله عـطف عليه وقال: أنائمٌ أنتَ أم يقظان؟ فقال: يقـظان. فقال: أنـا أبو ليلى وسيفي المَعلوب، فـألقى ابنُ الإطنابة سيفَه، وقيل: رمحه، وقال: قـد أعجَلْتني فأمهِلْني حتّى آخـذ سيفي. فقال: خذْه. قال: أخاف أن تُعْجِلَني عن أخذه. (قـال: لك ذمّـة ظالم لا أعجلك عن أخـذه)[2] قال: فوذِمّةِ الإطنابة لا آخذه! فانصرف الحارث وهو يقول أبياتاً، منها:

بـلغَتْنـا مقـالـةُ الـمـرءِ عَمـرو … فـالتقـينـا[3] وكـان ذاكَ بَـدِيّـا
فـهـمـمـنـا[4] بـقتـلهِ إذ بـرزْنـا … ووجـدنـاه[5] ذا سـلاح كَـمِـيّـا
غـيـرَ مـا نـائمٍ يـروِّعُ بـالـفتـ … ـكِ ولَـكـنْ مـقلَّداً مَـشـرفيّـا[6]
فـمـنـنّـا عـليـه بـعـد عُـلُوّ … بـوفـاءٍ وكـنـتُ قِـدْمـاً وفـيّـا[7]

ثمّ إنّ الحارث لمّا علم أنّ النعمان قد جدّ في طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثأر خالد، خرج متنكّراً إلى الشام، واستجار بيزيد بن عمرو، فأكرمه وأجاره.

وكان ليزيد ناقة مُحْماة في عنقها مَدْيَةٌ[8] وزناد وملح ليَمْتَحِنَ بذلك رعيّتـه، فوحمتْ زوجة الحارث واشتهت شحماً ولحماً، فأخذ الحارثُ الناقة فأدخلها شِعْباً فـذبحها وحمـل إلى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه. وفُقدت الناقة فطُلبت فوجدت عقيـرة بالـوادي، فأرسل الملك إلى كاهن فسأله عنها، فـذكر لـه أنّ الحارث نحـرها، فـأرسل امـرأةً بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحارث، فأدركها الحارثُ وقد اشتـرت اللحمَ، فقتلها ودفنهـا في البيت. فسأل الملكُ الكاهنَ عن المرأة، فقال: قتلها مَنْ نحر النـاقة، وإذا كـرهتَ أن تفتّش بيته فتأمر الرجلَ بالرحيل، فإذا رحل فتّشتُ بيتَـهُ. ففعل ذلـك، فلمّا رحـل الحارثُ فتّش الكاهنُ بيته فـوجد المـرأةَ، وأحسّ الحارثُ بـالشرّ، فعـاد إلى الكاهن فقتله، فـأُخذ

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «أغشني».
(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٣) في الأغاني ١١/١٢٣ «فأنِفْنا».
(٤) في الأغاني: «قد هممنا».
(٥) في الأغاني: «ولقيناه».
(٦) في الأغاني:

غـيـرَ مـا نـائـم تـعـلَّلَ بـالـحُـلْـ … ـم مُـعِـدّاً بـكـفّـه مَـشْـرَفـيّـا

(٧) أنظر الأبيات وغيرها في الأغاني ١١/١٢٢، ١٢٣.
(٨) في النسخة (ب): «مزية».

الحارثُ وأُحضر عند الملك، فأمر بقتله، فقال: إنّك قد أَجَرْتَني فلا تغدرْ بي. فقال: إن غدرتُ بك مرّة واحدة فقد غدرتَ بي مراراً. فقتله[1].

أيّام داحس والغبراء وهي بين عبْس وذُبيان[2]

وكان سبب ذلك أنّ قيس بن زهير بن جَذيمة العبسيّ سار إلى المدينة ليتجهّز لقتال عامر والأخذ بثأر أبيه، فأتى أُحَيْحة بن الجُلاح[3] يشتري منه درعاً موصوفةً[4]. فقال له: لا أبيعها، ولولا أن تذمّني بنو عامر لوهبتها منك، ولكن اشترِها[5] بابن لَبُون. ففعل ذلك وأخذ الدرع، وتُسمّى ذات الحواشي، ووهبه أُحَيْحة أيضاً أدراعاً، وعاد إلى قومه وقد فرغ من جهازه، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسيّ فدعاه إلى مسَاعدته على الأخذ بثأره فأجابه إلى ذلك. فلمّا أراد فراقه نظر الربيع إلى عَيْبته فقال: ما في حَقِيبتك[6]؟ قال: متاع عجيب لو أبصرتَهُ لراعك، وأناخ راحلته، فأخرج الدرع من الحقيبة، فأبصرها الربيعُ فأعجبته ولبسها، فكانت في طوله. فمنعها من قيس ولم يعطه إيّاها، وتردّدت الرسل بينهما في ذلك، ولجّ قيس في طلبها، ولجّ الربيع في منعها. فلمّا طالت الأيّام على ذلك سيّر قيس أهله إلى مكّة، وأقام ينتظر غرّة الربيع.

ثمّ إنّ الربيع سيّر إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلإ[7]، وأمر أهله فظعنوا، وركب فرسه وسار إلى المنزل، فبلغ الخبرُ قيساً، فسار في أهله وإخوته فعارض ظعائنَ الربيع، وأخذ زمامَ أمّه فاطمة بنت الخرشب وزمامَ زوجته. فقالت فاطمة أمّ الربيع: ما تريد يا قيس؟ قال: أذهب بكنّ إلى مكّة فأبيعكنّ بها بسبب درعي. قالت: وهي في ضماني وخلّ عنّا، ففعل. فلمّا جاءت إلى ابنها قالت له في معنى الدرع، (فحلف أنّه لا يردّ الدرعَ[8]، فأرسلت إلى قيس أعلمته بما قال الربيع، فأغار على نَعَمِ الربيع، فاستاق منها

---

(١) الخبر في العقد الفريد ٥/١٥٠ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٦.

(٢) ثمار القلوب ٣٦٠، المرصّع لابن الأثير ٨٤ و ١٣٥، العقد الفريد ٥/١٥٠، معجم البلدان ١/٢٠٥، نهاية الأرب ١٥/٣٥٦، المختصر في أخبار البشر ١/٧٨، معجم ما استعجم ١/١٦١، خزانة الأدب للبغدادي ٣/٥٣٦ المعارف لابن قتيبة ٦٠٦، الأغاني ١٧/١٨٧.

(٣) هو أُحَيْحَة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ويكنى أبا عمرو. (أنظر عنه في الأغاني ١٥/٣٧ - ٥٥).

(٤) في النسخة (ب): «سومة»، وفي النسخة (ت): «صوفة».

(٥) في النسخة (ب): «تشترها».

(٦) في النسخة (ب): «جعبتك».

(٧) في النسخة (ب): «الغلا».

(٨) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

أربعمائة بعير، وسار بها إلى مكّة، فباعها واشترى بها خيلاً، وتبعه الربيعُ فلم يلحقه، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء.

وقيل: إنّ داحساً كان من خيل بني يربوع، وإنّ أباه كان [أخذ] فرساً لرجل من بني ضَبّة يقال له أُنَيْف بن جَبَلة، وكان الفرس يسمّى السبط[1]، وكانت أمّ داحس لليربوعيّ، فطلب اليربوعيّ من الضّبّيّ أن يُنْزي فرسَه على حِجْره، فلم يفعل. فلمّا كان الليل عمد اليربوعيّ إلى فرس الضّبّيّ فأخذه، فأنزاه على فرسه، فاستيقظ الضّبّيّ، فلم ير فرسه، فنادى في قومه، فأجابوه، وقد تعلّق باليربوعيّ، فأخبرهم الخبرَ، فغضب ضبّةُ من ذلك، فقال لهم: لا تعْجلوا، دونكم نُطْفة فرسكم فخذوها. فقال القوم: قد أنصف. فسطا عليها رجل من القوم، فدسّ يده في رَحِمِها فأخذ ما فيها[2]، فلم تزِد الفرس إلاّ لقاحاً، فنتجت مهراً، فسُمّي داحساً بهذا السبب.

فكان عند اليربوعيّ ابنان له، وأغار قيس بن زُهَيْر على بني يربوع فنهب وسبى، ورأى الغلامَيْن أحدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما، فرجع وفي السبي أمّ الغلامَيْن وأختان لهما وقد وقع داحس والغبراء في قلبه، وكان ذلك قبل أن يقع بينه وبين الربيع ما وقع. ثمّ جاء وفد بني يربوع في فداء الأسرى والسبي، فأطلق الجميع إلاّ أمّ الغلامَيْن وأختَيْهما وقال: إن أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء وإلاّ فلا. فامتنع الغلامان من ذلك، فقال شيخ من بني يربوع كان أسيراً عند قيس، وبعث بها إلى الغلامَيْن، وهي:

إنّ مُهراً فدى الربابَ وجُملاً[3] وسُعاداً لَخَيرُ مُهرِ أناسِ
ادفعوا داحساً بهنّ سراعاً إنّها من فعالها الأكياسِ
دونها والذي يحجّ له النا سُ سبايا يُبعن بالأفراسِ[4]
إنّ قيساً يرى الجواد من الخيـ ـلِ حياةً في متلف الأنفاسِ
يشتري الطِّرْف بالجراجرة الجِـ ـلّة يعطي عفواً بغير مكاسِ

فلما انتهت الأبيات إلى بني يربوع قادوا الفرسَيْن إلى قيس وأخذوا النساء.

وقيل: إنّ قيساً أنزى داحساً على فرس له، فجاءت بمُهرة فسمّاها الغبراء. ثمّ إن قيساً أقام بمكّة فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخوراً، فقال لهم: نَحّوا كَعْبَتكم عنّا

(١) في النسخة (ر): «الشيط».
(٢) أنظر الأغاني ١٧/١٨٨.
(٣) في الطبعة الأوربية «حملاً».
(٤) البيت في حاشية النسخة (ر).

وحرمكم، وهاتوا ما شئتم. فقال له عبد الله بن جُدعان: إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبمَ نفاخرك؟ فملّ قيس مفاخرتهم، وعزم على الرحلة عنهم، وسرّ ذلك قريشاً لأنّهم قد كانوا كرهوا مفاخرته، فقال لإخوته: ارحلوا بنا من عندهم أوّلاً، وإلاّ تفاقم الشرّ بيننا وبينهم، والحقوا ببني بدر، فإنّهم أكفاؤنا في الحَسَب، وبنو عمّنا في النَّسَب، وأشراف قومنا في الكرم، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم. فلحق قيس وإخوته ببني بدر، وقال في مسيره إليهم:

أسير إلى بني بدرٍ بأمرٍ ... هُمُ فيه علينا بالخيارِ
فإن قبلوا الجوارَ فخيرُ قومٍ ... وإن كرهوا الجِوارَ فغيرُ عارِ
أتينا الحارثَ الخير بن كَعْبٍ ... بنَجْران وأي لجا بجارِ
فجاورْنا الذين إذا أتاهم ... غريبٌ حلّ في سعة القَرارِ
فيأمَن فيهمُ ويكون منهم ... بمنزلة الشّعار من الدّثار
وإن نُفرَدْ بحربِ بني أبينا ... بلا جار فإنّ الله جاري

ثمّ نزل ببني بدر فنزل بحُذَيْفة، فأجاره هو وأخوه حَمَل بن بدر، وأقام فيهم، وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن في العرب مثلها، وكان حُذَيفة يغدو ويروح إلى قيس، فينظر إلى خيله فيحسده عليها، ويكتم ذلك في نفسه، وأقام قيس فيهم زماناً يكرمونه وإخوته، فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم، وبعث إليهم بهذه الأبيات:

ألا أبلغْ بني بدرٍ رسُولاً ... على ما كان من شنإ ووترِ
بأنّي لم أزل لكمُ صديقاً ... أدافع عن فَزارة كلّ امرِ
أُسالم سلمكم وأردُّ عنكم ... فوارسَ أهل نجران وحَجرِ
وكان أبي ابن عمّكمُ زياد ... صفيَّ أبيكُم بدر بن عمرو
فألجأتم أخا الغدرات قيساً ... فقد أفعمتمُ إيغار صدري
فحسبي من حذيفة ضمّ قيس ... وكان البدء من حَمَلٍ بن بدرِ
فإمّا ترجعوا أرجعْ إليكم ... وإن تأبَو فقد أوسعتُ عذري

فلم يتغيّروا عن جوار قيس. فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه، ثمّ إنّ حُذَيْفة كره قيساً وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجّةً، وعزم قيس على العُمْرة فقال لأصحابه: إنّي قد عزمتُ على العُمْرة فإياكم أن تلابسوا حُذَيْفة بشيء، واحتملوا كلّ ما يكون منه حتى أرجع فإنّي قد عرفتُ الشرّ في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم إلاّ [أن] تراهنوه على الخيل. وكان ذا رأي لا يخطىء في ما يريده، وسار إلى مكّة.

ثمّ إنّ فتىً من عبس يقال له وَرْد بن مالك أتى حُذَيفة فجلس إليه، فقال له ورد: لو

اتّخذتَ من خيل قيس فحْلاً يكون أصلاً لخيلك. فقال حُذيفة: خيلي خير من خيل قيس، ولجّا في ذلك إلى أن تراهنا على فرسَيْن من خيل قيس وفرسَيْن من خيل حُذَيْفة، والرهن عشرة أذواد.

وسار ورد فقدِم على قيس بمكّة فأعلمه الحال، فقال له: أراكَ قد أوقعْتني في بني بدر ووقعت معي وحُذَيْفة ظلوم لا تطيب نفسه بحقّ، ونحن لا نقرّ له بضيْمٍ. ورجع قيس من العُمْرة، فجمع قومَه وركب إلى حُذَيفة، وسأله أن يفكّ الرهن، فلم يفعل. فسأله جماعة فزارة وعَبْس، فلم يجب إلى ذلك، وقال: إن أقرّ قيس أنّ السبق لي وإلّا فلا، فقال أبو جَعْدة الفزاريّ:

آلَ بدرٍ دعوا الرِّهانَ فإنّا ... قد مَلِلْنا اللجاجَ عند الرهانِ
ودعوا المرء في فَزارة جاراً ... إنّ ما غاب عنكمُ كالعيانِ
ليت شِعري عن هاشم وحُصَيْنٍ ... وابن عوف وحارث وسنانِ
حين يأتيهمُ لجاجُك قيساً ... رَأْيَ[1] صاحٍ أتيت أم نشوانِ

وسأل حُذَيْفة إخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولجّ فيه، وقال قيس: عَلام تُراهنني؟ قال: على فَرَسَيْك داحس والغبراء وفرسيّ الخطار والحنفاء.

وقيل: كان الرهن على فرسَي داحس والغبراء. قال قيس: داحس أسرع. وقال حُذَيفة: الغبراء أسرع، وقال لقيس: أريد أن أُعلمك أنّ بصري بالخيل أثقب من بصرك؛ والأوّل أصحّ. فقال له قيس: نفِّس[2] في الغاية وارفع في السبق. فقال حُذَيفة: الغايةُ من أُبْلَى[3] إلى ذاتِ الإصَاد[4]، وهو قدر مائة وعشرين غلوةً، والسبق مائة بعير، وضمّروا الخيل. فلمّا فرغوا قادوا الخيل إلى الغاية، وحشدوا ولبسوا السلاحَ، وتركوا السبق على يد عِقال بن مروان بن الحكم القيسيّ، وأعدّوا الأُمناء على إرسال الخيل.

وأقام حُذَيفة رجلاً من بني أسد في الطريق، وأمره أن يلقى داحساً في وادي ذات

---

(١) في الطبعة الأوربية «وأي».

(٢) في الطبعة الأوربية «نقس».

(٣) أُبْلَى: بالضم ثم السكون والقصر بوزن حُبْلَى. قال عرّام: تمضي من المدينة مُصْعداً إلى مكة، فتميل إلى وادٍ يقال له عُرَيْقِطان مَعْن، ليس له ماء ولا مرعى، وحذاه جبال يقال لها أُبْلَى، فيها مياه منها بئر مَعُونة، وذو ساعدة، وذو جماجم، أو حماحم، والوَسْباء، وهذه لبني سليم، وهي قِنان متّصلة بعضها إلى بعض. (معجم البلدان ١/٧٨).

(٤) الإصاد: بالكسر. اسم ماء. قال أبو عبيدة: ذات الإصاد رَدْهَة في ديار عبس وسْط هضب القَليب، وهضب القليب: علم أحمر فيه شعاب كثيرة في أرض الشُّرَبَّة. (معجم البلدان ١/٢٠٥، معجم ما استعجم ١/١٦١، المرصّع لابن الأثير ٨٤.

الإصاد إن مرّ به سابقاً فيرمي به إلى أسفل الوادي.

فلمّا أُرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيّناً، والناسُ ينظرون إليه، وقيس وحُذَيفة على رأس الغاية في جميع قومهما. فلمّا هبط داحس في الوادي عارضه الأسديّ، فلطم وجهه فألقاه في الماء، فكاد يغرق هو وراكبه، ولم يخرج إلاّ وقد فاتته الخيل. وأمّا راكب الغبراء فإنّه خالف طريق داحس لمّا رآه قد أبطأ، وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسَيْ حُذَيفة، ثمّ سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطّار، فكانا إذا أحْزنا[1] سبق الخطّار، وإذا أسهلا سبقت الغبراء. فلمّا قربا من الناس وهما في وَعْث من الأرض تقدّم الخطّار، فقال حُذَيفة: سبقك يا قيس. فقال: «رويدك يعلونّ الجدد»؛ فذهبت مثلاً. فلمّا استوت بهما الأرض قال حُذَيفة: خدع والله صاحبنا. فقال قيس: «تركُ الخداع مَن أجرى من مائة وعشرين»؛ فذهبت مثلاً.

ثمّ إنّ الغبراء جاءت سابقة، وتبعها الخطّار فرس حُذَيفة، ثمّ الحنفاء له أيضاً، ثمّ جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رِسله، فأخبر الغلامُ قيساً بما صُنع بفرسه، فأنكر حذيفةُ ذلك وادّعى السبق ظالماً، وقال: جاء فرساي متتابعين، ومضى قيس وأصحابه حتّى نظروا إلى القوم الذين حبسوا داحساً واختلفوا.

وبلغ الربيعَ بن زياد خبرُهم فسرّه ذلك وقال لأصحابه: هلك والله قيس، وكأنّي به إن لم يقتله حُذَيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار، أما والله لئن فعل ما لنا من ضمّه من بدّ.

ثمّ إنّ الأسديّ ندم على حبس داحس، فجاء إلى قيس واعترف بما صنع، فسبّه حُذَيفة.

ثمّ إنّ بني بدر قصروا بقيس وإخوته وآذوهم بالكلام، فعاتبهم قيس، فلم يزدادو إلاّ بغياً عليه وإيذاءً له.

ثمّ إنّ قيساً وحُذَيفة تناكرا في السبق حتّى همّا بالمؤآخذة، فمنعهما الناس، وظهر لهم بغي حُذَيفة وظلمه، ولجّ في طلب السبق، فأرسل ابنه نَدْبة إلى قيس يطالبه به، فلمّا أبلغه الرسالة طعنه فقتله، وعادت فرسه إلى أبيه، ونادى قيس: يا بني عبس الرحيل! فرحلوا كلّهم، ولمّا أتت الفرسُ حُذَيفةَ علم أنّ ولده قُتل، فصاح في الناس وركب في مَنْ معه، وأتى منازلَ بني عبس فرآها خاليةً ورأى ابنَه قتيلاً، فنزل إليه وقبّل بين عينَيْه ودفنوه.

وكان مالك بن زهير أخو قيس متزوّجاً في فزارة وهو نازلٌ فيهم، فأرسل إليه قيس:

---

(١) في الطبعة الأوربية «أجريا».

أنّي قد قتلتَ نَدْبة بن حذيفة ورحلتُ، فالحقْ بنا وإلاّ قُتلتَ. فقال: إنّما ذنب قيس عليه، ولم يرحل، فأرسل قيس إلى الربيع بن زياد يطلب منه العود إليه والمقام معه، إذ هم عشيرة وأهل، فلم يُجبْه ولم يمنعه، وكان مفكّراً في ذلك.

ثمّ إنّ بني بدر قتلوا مالك بن زُهَيْر أخا قيس، وكان نازلاً فيهم، فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد، فاشتدّ ذلك عليهم، وأرسل الربيع إلى قيس عيناً يأتيه بخبره، فسمعه يقول:

أينجو بنو بَدرٍ بمقتلِ مالك ... وَيخذُلُنا في النائبات ربيعُ
وكانَ زيادٌ قبله يُتّقى به ... مِنَ الدهرِ إنْ يومٌ ألمَّ فظيعُ
فقُل لربيعٍ يحتذي فِعلَ شيخه ... وما النّاسُ إلاّ حافظٌ ومضيعُ
وإلاّ فَما ليَ في البِلادَ إقامةٌ ... وأمر بَني بدرٍ عليّ جميعُ

فرجع الرجل إلى الربيع فأخبره، فبكى الربيع على مالك وقال:

مَنَعَ الرّقادَ فما أغمّض ساعةً ... جَزَعاً من الخبر العظيم الساري[1]
أفبعدَ مقتلِ مالِك بن زهير[2] ... يرجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ[3]
منْ كان مسروراً بمقتلِ مالكٍ ... فليأتِ نِسْوتَنا بوَجهِ[4] نهارِ
يَجِدِ النساءَ حواسراً يندُبنه ... ويقمنَ[5] قبل تبلّج الأسحارِ
يضرِبن حُرّ وجوههنَّ على فتىً ... ضَخمِ الدسيعة غيرِ ما خَوّارِ[6]
قد كنَّ يُكنِنَّ[7] الوجوهَ تستّراً ... فاليوم حين برَزْنَ[8] للنُظّارِ

وهي طويلة[9].

---

(١) البيت في الأغاني ١٧/١٩٦:
نامَ الخَليُّ وما أُغمِّضُ حارِ ... من سيّء النبأ الجليلِ الساري

(٢) في الطبعة الأوربية «لمضيعة».

(٣) انفردت النسخة (ر) بهذا البيت، عن بقية النسخ. وفي الشطر الأول عيب يسمى القطع.

(٤) في النقائض ٨٩ «بنصف».

(٥) في النسخة (ي): «قد قمن». وفي الأغاني «يبكين».

(٦) في النسخة (ر): «عوار». والبيت في الأغاني:
يخمشْن حُرّات الوجوه على امرىء ... سهْلِ الخليقة طيّب الأخبار

(٧) في النسخة (ب): «قمن يخبأن»، وفي النسخة (ي) «كن يخبئن». وفي الأغاني «يَخْبَأنَ».

(٨) في النسخة (ب): «قد أبرزن»، وفي الأغاني «حين بدوْن».

(٩) راجع القصيدة مع تقديم وتأخير في الأبيات واختلاف في الألفاظ، في: نقائض جرير والفرزدق ٨٩، ديوان الحماسة لأبي تمّام ١/٢٩٨، الأغاني ١٧/١٩٦.

فسمعها قيس، فركب هو وأهله، وقصدوا الربيع بن زياد، وهو يُصْلح سلاحه، فنزل إليه قيس، وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمُصاب مالك، ولقي القوم بعضهم بعضاً فنزلوا. فقال قيس للربيع: إنّه لم يهرب منك من لجأ إليك، ولم يستَغْنِ عنك من استعان[1] بك، وقد كان لك شرّ يوميً، فليكن لي خير يوميك، وإنّما أنا بقومي وقومي بك، وقد أصاب القوم مالكاً، ولست أهمّ بسوء، لأنّي إن حاربتُ بني بدر نصرتْهم بنو ذُبْيان، وإن حاربتْني خذلني بنو عبس، إلاّ أن تجمعهم عليّ، وأنا والقوم في الدماء سواءٌ، قتلتُ ابنَهم وقتلوا أخي، فإنْ نصرتَني طمعتُ فيهم، وإن خذلتَني طمعوا فيّ. فقال الربيع: يا قيس إنّه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه[2] لي، ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك، وقد مال عليّ قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم، ظلموك في جوادك، وظلمتَهم في دمائهم، وقتلوا أخاك بابنهم، فإن يَبُؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك، وأحبّ الأمْرَيْن إليّ مسالمتهم، ونخلو بحرب هوازن. وبعث قيس إلى أهله وأصحابه، فجاؤوا ونزلوا مع الربيع، وأنشدهم عنترة بن شدّاد مرثيّته في مالك[3]:

فلله عَينا مَنْ رأى مثلَ مالكٍ   عَقيرةَ قومٍ أنْ جَرَى فَرَسانِ
فليتهما لم يَطْعما الدهرَ بعدها   وليتَهما لم يُجمعا[4] لِرهانِ[5]
وليتَهما ماتا جميعاً ببلدةٍ   وأخطاهما قيسٌ فلا يُرَيانِ
لقد جَلَبا جلباً لمصرعِ مالكٍ   وكان كريماً ماجداً لِهجانِ
وكان إذا ما كان يوم كريهةٍ   فقد علموا أنّي وهو فتَيانِ[6]
وكنّا لَدَى الهيجاء نحمي نساءنا   ونَضْرب عند الكرب كلّ بَنانِ
فسوف ترى إن كنتُ بعدك باقياً   وأمكنني دهري وطول زماني
فأُقسم حقّاً لو بقيت لنظرة   لقرّت بها عيناك[7] حين تراني[8]

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «استعاذ».
(٢) في النسخة (ر): «تراه».
(٣) وقيل إنّ هذه الأبيات لابنة مالك بن بدر: (النقائض ٩٣، الأغاني ١٧/٢٠١).
(٤) في النسخة (ب) و(ي): «يرسلا».
(٥) البيت في الأغاني:
فليتهما لم يشربا قطُّ قطرةً   وليتهما لم يُرْسَلا لِرهان
وفي النقائض: «شربة» بدل «قطرة».
(٦) هذا البيت ليس في ديوان عنترة.
(٧) في الطبعة الأوربية «العينان».
(٨) الأبيات في ديوان عنترة، والنقائض ٣، والأغاني ١٧/٢٠١ مع تقديم وتأخير واختلاف في الألفاظ، ومنها بيتان في العقد الفريد ٥/١٥٢ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٨.

وبلغ حُذيفة أنّ الربيع وقيساً اتّفقا، فشقّ ذلك عليه واستعدّ للبلاء.

وقيل: إنّ بلاد عبْس كانت قد أجدبت، فانتجع أهلها بلاد فزارة، وأخذ الربيع جواراً من حُذَيْفة وأقام عندهم، فلمّا بلغه مقتل مالك قال لحُذَيفة: لي ذمّتي ثلاثة أيّام. فقال حُذَيفة: ذلك لك. فانتقل الربيع من بني فزارة. فبلغ ذلك حَمَل بن بَدْر، فقال لحُذَيفة أخيه: بئس الرأي رأيتَ! قتلتَ مالكاً وخلّيتَ سبيل الربيع! والله ليضْرمنّها عليك ناراً! فركبا في طلب الربيع، ففاتهما، فعلما أنّه قد أضمر الشرّ.

واتّفق الربيع وقيس، وجمع حُذَيفةُ قومه، وتعاقدوا على عبْس، وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدّوا للحرب، فأغارت فزارة على بني عبْس، فأصابوا نَعماً ورجالاً، فحميتْ[1] عبس واجتمعت للغارة، فنذِرتْ بهم فزارة. فخرجوا إليهم فالتقوا على ماء يقال له العَذَق[2]، وهي أوّل وقعة كانت بينهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل عوف بن يزيد، قتله جُنْدَب بن خَلَف العبسيّ. وانهزمت فزارة وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأسر الربيعُ بن زياد حُذَيْفةَ بن بدر، وكان حُرّ بن الحارث العبسيّ قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف، (وله سيف قاطع يُسمّى الأصرم، فأراد ضربه بالسيف)[3] لمّا أُسر وفاء بنذره، فأرسل الربيع إلى امرأته فغيّبتْ[4] سيفه ونَهوْه عن قتله وحذّروه عاقبة ذلك، فأبى إلاّ ضربه، فوضعوا عليه الرجال، فضربه، فلم يصنع السيف شيئاً، وبقي حُذَيفة أسيراً.

فاجتمعتْ غطفان وسعوا في الصلح، فاصطلحوا على أن يهدروا دم بدر بن حُذَيفة بدم مالك بن زهير، ويعقلوا عوف بن بدر، ويُعْطوا حُذَيفة عن ضربته التي ضربه حُرّ مائتَيْن من الإبل، وأن يجعلوها عشاراً[5] كلّها، وأربعة أعبدٍ، وأَهدر حُذَيفة دِماء مَنْ قُتِل من فزارة في الوقعة وأُطلِق من الأسر.

فلمّا رجع إلى قومه ندم على ذلك، وساءت مقالته في بني عبْس، وركب قيس بن زهير وعُمَارة بن زياد، فمضيا إلى حُذَيْفة وتحدّثا معه. فأجابهما إلى الاتّفاق، وأن يردّ عليهما الإبل التي أخذ منهما، وكانت توالدت عنده. فبينا هم في ذلك إذ جاءهم سِنان بن أبي حارثة المرّيّ، فقبّح رأي حُذَيفة في الصلح وقال: إن كنتَ لا بدّ فاعلاً

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «فجمعت».

(٢) العَذَق: بفتح أوله وثانيه. موضع معروف بناحية الصمان. (معجم البلدان ٤/٩١).

(٣) العبارة ليست في النسخة (ر). وفي النسخة: «فلما أسره وفى».

(٤) في النسخة (ت): «فغيرت»، وفي النسخة (ر): «فعيرت».

(٥) العشار، أو العشراء: التي أتى على حملها عشرة أشهر من ملقّحها.

فأعطِهم إبلاً عِجافاً مكان إبلهم، واحبسْ أولادها. فوافق ذلك رأيَ حُذَيفة، فأبي قيس وعمارة ذلك[1].

وقيل: إنّ الابل التي طلبوها منه هي إبل كان قد أخذها سَبْقاً من قيس.

وقيل أيضاً: إنّ مالك بن زُهَيْر قُتل بعد هذه الوقعة المذكورة؛ قال حُمَيْد بن بدر في ذلك.

قتلنا بعوفٍ مالكاً وَهْوَ ثأرنا ... ومَن يبتدعْ شيئاً سوى الحقّ يَظلمِ

وجعل سنان يحثّ حُذيفةَ على الحرب، فتيسّروا لها.

ثمّ إنّ الأنصار بلغهم ما عزموا عليه، فاتّفق جماعةٌ من رؤسائهم، وهم: عمرو بن الإطنابة، ومالك بن عَجْلان، وأُحَيْحة بن الجُلاح، وقيس بن الخَطيم، وغيرهم، وساروا لِيُصْلحوا بينهم، فوصلوا إليهم وتردّدوا في الاتّفاق، فلم يجبْ حُذَيفةُ إلى ذلك وظهر لهم بغْيه، فحذّروه عاقبته وعادوا عنه.

وأغار حُذَيفة على عبْس، وأغارت عبْس على فزارة، وتفاقم الشرّ، وأرسل حُذَيفة أخاه حَمَلاً فأغار وأسر ريّان[2] بن الأسلع بن سفيان وشدّه وثاقه وحمله إلى حُذيفة، فأطلقه ليرهنه ابنيه وجُبير ابن أخيه عمرو بن الأسلع، ففعل ريّان ذلك، ثمّ سار قيس إلى فزارة فلقي منهم جمعاً فيهم مالك بن بدر، فقتله وانهزمت[3] فزارة، فأخذ حينئذ حُذيفة ولدَيْ ريّان فقتلهما وهما يستغيثان: يا أبتاه! حتّى ماتا، وأمّا ابن أخيه فمنعه أخواله.

ولمّا قُتل مالك والغلامان[4] اشتدّت الحربُ بين الفريقَيْن وأكثرها في فزارة ومَنْ معها. ففي بعض الأيّام التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ودامت الحربُ بينهم إلى آخر النهار، وأبصر ريّان بن الأسلع زيد بن حُذَيفة فحملَ عليه فقتله، وانهزمت فزارة وذُبيان، وأدرك الحارث بن بدر فقُتل، ورجعت عبس سالمةً لم يُصَبْ منها أحدٌ. فلما قتل زيد والحارث جمع حُذيفة جميع بني ذبيان، وبعث إلى أشجع وأسد بن خُزَيْمة فجمعهم، فبلغ ذلك بني عبْس فضمّوا أطرافهم، وأشار قيس بن زهير بالسبق إلى ماء العقيقة[5]، ففعلوا ذلك، وسار حُذيفةُ في جموعه إلى عبْس، ومشى السفراء بينهم، فحلف حُذيفة: أنّه لا يصلح حتّى يشرب من ماء العقيقة. فأرسل إليه قيس منه في سِقاء وقال: لا أترك حُذيفة

(١) في النسخة (ت): «رأي حذيفة». وفي النسخة (ي): «حرج».

(٢) في النسختين (ت) و(ر): «زيان».

(٣) في الطبعة الأوربية «وانهزم».

(٤) في الطبعة الأوربية «والغلمان».

(٥) في النسختين (ب) و(ي): «العفيفة».

يخدعني. واصطلحوا على أن تعطي بنو عَبس حُذيفةَ دياتِ مَنْ قُتل له، ووضعوا الرهائنَ عنده إلى أن يجمعوا الدِّيات، وهي عشر، وكانت الرهائن ابناً لقيس بن زهير، وابناً للربيع بن زياد، فوضعوا أحدهما عند قُطْبة بن سِنان، والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى. فعيّر بعضُ الناس حُذيفةَ بقبول الدِّيَة، فحضر هو وأخوه حَمَل عند قُطْبة بن سِنان والبكريّ وقالا: ادفعا إلينا الغلامَيْن لنكسوهما ونسرّحهما إلى أهلهما. فأمّا قطبة فدفع إليهما الغلامَ الذي عنده، وهو ابن قيس، وأمّا البكريّ فامتنع من تسليم مَنْ عنده، فلمّا أخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابناً لعُمارة بن زياد العبسيّ وابن عمّ له، فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس.

فلمّا بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات، فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح. ثمّ خرج قيس في جماعة فلقوا ابناً لحُذَيفة، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم. فجمع حُذيفة وسار إلى عبْس، وهم على ماء يقال له عُراعر[1]، فاقتتلوا، فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمةً.

وجدّ حُذيفة في الحرب، وكَرِهها أخوه حَمَل وندم على ما كان، وقال لأخيه في الصلح، فلم يجبْ إلى ذلك، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان، وسار نحو بني عبس، فاجتمعتْ عبس وتشاوروا في أمرهم، فقال لهم قيس بن زهير: إنّه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، وليس لبني بدر إلّا دماؤكم والزيادة عليكم، وأمّا مَنْ سِواهم فلا يريدون غير الأموال والغنيمة، والرأيُ أنّنا نترك الأموالَ بمكانها، ونترك معها فارسَيْن على داحس، وعلى فرس آخر جوادٍ، ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال، فإذا جاء القومُ إلى الأموال سار إلينا الفارسان فأعلمانا وصولهم، فإنّ القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الأموال، وإنْ نهاهم ذوو الرأي عن ذلك فإنّ العامّة تخالفهم وتنتقض تعبيتَهُم، ويشتغل[2] كلّ إنسان بحفظ ما غَنِمَ، ويعلّقون أسلحتهم على ظهور الإبل ويأمنون. فنعود نحن إليهم عند وصول الفارسَيْن، فندركهم وهم على حال تفرّقٍ وتشتّتٍ، فلا يكون لأحدهم همّة إلّا نفسه.

ففعلوا ذلك، وجاء حُذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب، فنهاهم حُذيفةُ وغيره فلم يقبلوا منه، وكانوا على الحال التي وصف قيس. وعادت بنو عبْس وقد تفرّقتْ أسدُ وغيرهم، وبقي بنو فزارة في آخر الناس، فحملوا عليهم من جوانبهم فقُتل مالك بن

---

(١) عُراعِر: بالضمّ في أوله، وكسر العين الثانية. اسم ماء ملح لبني عميرة، وهي أرض سبخة. وقيل: ماءة مرّة بعدنة في شمالي الشرية. وقيل ماء لكلب بناحية الشام. (معجم البلدان ٤/ ٩٣).

(٢) في النسخة (ت): «يستقل».

سبيع[1] التغلبيّ سيّد غطفان، وانهزمت فزارة وحُذيفة معهم، وانفرد في خمسة فوارس وجدّ في الهرب. وبلغ خبره بني عبْس، فتبعه قيس بن زُهَيْر والربيع بن زياد وقِرْواش بن عمرو بن الأسلع وريّان بن الأسلَع الذي قتل حُذيفة ابنَيْه، وتبعوا أثرهم في الليل، وقال قيس: كأنّي بالقوم وقد وردوا جَفْر الهَباءة[2] ونزلوا فيه، فساروا ليلتهم كلّها حتّى أدركوهم مع طلوع الشمس في جَفْر الهَباءة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فأخذوا بجمعها[3]، فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها، وكان مع حُذَيفة في الجفْر أخوه حَمَل بن بدر وابنه حِصْن[4] بن حُذيفة وغيرهم. فهجم عليهم قيس والربيع ومَنْ معهما وهم ينادون: لبّيكم! يعني أنّهم يجيبون نِداء الصبيان لمّا قُتلوا ينادون: يا أبتاه! فقال لهم قيس: يا بني بكر كيف رأيتم عاقبة البغي؟ فناشدوهم الله والرحِمَ، فلم يقبلوا منهم. ودار قِرْواش بن عمرو حتّى وقف خلف ظهر حُذَيفة، فضربه فدقّ صُلبه، وكان قرواش قد ربّاه حُذيفة حتّى كبُر عنده في بيته، وقتلوا حَمَلا أخاه، وقطعوا رأسَيْهما، واستبقوا حِصْن بن حُذيفة لصباه.

وكان عدد مَنْ قُتل في هذه الوقعة من فزارة وأسد وغطفان ما يزيد على أربعمائة قتيل، وقُتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلاً، وكانت فزارة تسمّي هذه الوقعة البوار.

وقال قيس بن زهير:

أقام على الهَبَاءة[5] خيرُ مَيْتٍ ... وأكرمُهُ حُذَيْفَة لا يَرِيمُ
لقد فُجعتْ به قيسٌ جميعاً ... موالي القوم والقوم الصميمُ
وعُمّ به لمقتله بعيدٌ ... وخُصّ به لمقتله حَميمُ

وهي طويلة؛ وقال أيضاً:

ألم ترَ خير الناس أمْسى[6] ... على جَفْرِ الهَباءة لا يَرِيمُ
فلولا ظُلْمُهُ ما زلتُ أبكي ... عليه الدهرَ ما طلعَ النجومُ
ولَكنّ الفتى حَمَلَ بن بدر ... بَغَى والبَغْيُ مرتعهُ[7] وخيمُ

---

(١) في النسخة (ي): «الأسلع».

(٢) اسم بئر بأرض الشرَبَّة. (معجم البلدان ١٤٧/٢) وانظر عن يوم الهباءة في العقد الفريد ١٥٦/٥، ونهاية الأرب ٣٦٠/١٥، وكتاب النقائض ٩٥ طبعة أوربة، والأغاني ٣١/١٦ طبعة بولاق.

(٣) في النسختين: (ب) و(ر): «لجمها»، وفي النسخة (ي): «لحميها».

(٤) في النسختين: (ت) و(ي): «حصين».

(٥) هي الأرض التي ببلاد غطفان.

(٦) في معجم البلدان ٣٨٩/٥، ومعجم ما استعجم ١٣٤٤/٤، والأغاني ٢٠٦/١٧، والنقائض ٩٦ «تعلم أنّ خير الناس ميتٌ»

(٧) في معجم البلدان: «مصرعه».

وأكثروا القول في يوم الهَباءة[1].

ثمّ إنّ عبْساً ندِمت على ما فعلتْ يوم الهَباءة، ولام بعضهم بعضاً، فاجتمعت فزارة إلى سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ، وشكوا إليه ما نزل بهم، فأعظمه وذمّ عبْساً، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر بني بدر وفزارة، وبثّ رُسُلَه. فاجتمع من العرب خلقٌ كثير لا يُحْصون، ونهى أصحابه عن التعرّض إلى الأموال والغنيمة وأمرهم بالصبر، وساروا إلى بني عبس. فلمّا بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس: الرأي أنّنا لا نلقاهم، فإنّنا وقد وَتَرناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل، وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال، فهم لا يتعرّضون إليه الآن، والذي ينبغي أن نفعله أنّنا نرسل الظعائن والأموال إلى بني عامر، فإنّ الدم لنا قبلهم، فهم [لا] يتعرّضون لكم، ويبقى أولو القوّة والجَلَد على ظهور الخيل، ونُماطلهم القتال، فإن أبوا إلاّ القتال كنّا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا، وقاتلناهم وصبرنا لهم، فإن ظفرنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنّا قد احترزنا ولحِقنا بأموالنا ونحن على حامية.

ففعلوا ذلك، وسارت ذُبيان ومَنْ معها فلحِقوا بني عبس على ذات الجُرَاجِر[2]، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك وافترقوا. فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشدّ من اليوم الأوّل، وظهرت في هذه الأيّام شجاعة عنترة بن شدّاد. فلمّا رأى الناسُ شدّة القتال وكثرَة القتلى لاموا سِنان بن أبي حارثة على منعه حُذيفة عن الصلح، وتطيّروا منه، وأشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم، فلم يفعل وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث. فلمّا رأى فتور أصحابه وركونَهم إلى السلم رحل عائداً. فلمّا عاد عنهم رحل قيس وبنو عبْس إلى بني شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدّةً، فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرّض لأخْذ أموالهم فرحلوا عنهم، فتبعهم[3] جمع من شيبان، فلقيتهم بنو عبْس واقتتلوا، فانهزمت شيبان، وسارت عبْس إلى هَجَر ليحالفوا ملكهم، وهو معاوية بن الحارث[4] الكنديّ، فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلاً، فبلغهم الخبرُ فساروا عنه مُجِدّين، وسار معاوية مُجِدّاً في أثرهم، فتاه بهم الدليلُ على عَمْدٍ لئلاّ يدركوا عبساً إلاّ وهم قد لحِقهم ودوابّهم النَّصَبُ، فأدركوهم بالفَرُوق[5] فاقتتلوا قتالاً شديداً،

---

(١) أنظر أبياتاً، وقولاً آخر لقيس بن زهير في هذا اليوم في المعجم، والأغاني، والنقائض.

(٢) ذات الجُراجر: بجيمين، وراءين مهملتين، وضمّ أوله. (معجم ما استعجم ٢/٣٧٣) وفي أسفل جُراجر عيون فيها نخل لقريش وبني ليث، وهو وادٍ لجُهَينة. (معجم ما استعجم ٤/١٣١٠ مادّة «نصع»).

(٣) في النسخة (ي): «فلحقهم».

(٤) في النسخة (ر): «حون».

(٥) الفَرُوق: بالفتح، عقبة دون هَجَر إلى نجد، بين هجر ومهبّ الشمال. (معجم البلدان ٤/٢٥٨) وانظر يوم الفروق في: العقد الفريد ٥/١٥٨ ونهاية الأرب ١٥/٣٦٢.

فانهزم معاويةُ وأهلُ هَجَر، وتبِعتهم عبْس فأخذت من أموالهم، وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين، فنزلوا بماء يقال له عُراعر[1] عليه حيّ من كلب، فركبوا ليقاتلوا بني عبْس، فبرز الربيع وطلب رئيسهم، فبرز إليه، واسمه مسعود بن مصاد[2]. فاقتتلا حتى سقطا إلى الأرض، وأراد مسعود قتل الربيع، فانحسرت البيضةُ عن رقبته، فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله، فثار به الربيع فقطع رأسه، وحملت عبس على كلب والرأس على رمح، فانهزمت كلب، وغنمت عبس أموالهم وذراريهم، فساروا إلى اليمامة فحالفوا أهلها من بني حنيفة، وأقاموا ثلاث سنين، فلم يُحْسنوا جوارهم، وضيّقوا عليهم فساروا عنهم، وقد تفرّق كثير منهم وقُتل منهم، وهلكت دوابّهم ووَتَرَهم[3] العربُ، فراسلتهم بنو ضَبّة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم، ففعلوا وجاوروهم.

فلمّا انقضى الأمرُ بين ضبّة وتميم تغيّرتْ ضبّة لعبْسٍ، وأرادوا اقتطاعهم، فحاربتهم عبس فظفرت، وغنمت من أموال ضبّة، وسارت إلى بني عامر، وحالفوا الأحْوص بن جعفر بن كلاب، فسُرّ بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم، لأنّه كان بلغه أنّ لَقيط بن زُرارة يريد غزو بني عامر والأخذ بثأر أخيه مَعْبد، فأقامت عبْس عند بني عامر، فقصدتْهم تميم، وكانت وقعة شِعْب جَبَلَة، وسنذكره إن شاء الله.

ثمّ إنّ ذُبيان غزوا بني عامر بن صَعْصَعَة، وفيهم بنو عبْس فاقتتلوا، فهُزمت عامر، وأُسر قِرْواش بن هُنيّ العبسيّ ولم يُعْرَفْ. فلمّا قدِموا به الحيّ عرفتْه امرأةٌ منهم، فلمّا عرفوه سلّموه إلى حِصْن بن حُذَيفة فقتله. ثمّ رحلت عبس عن عامر ونزلت بتَيْم الرِّباب، فبغتْ تَيْم عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وتكاثرت عليهم تَيْم فقتلوا من عبْس مقتلة عظيمة.

ورحلت عبس وقد ملّوا الحربَ، وقلّت[4] الرجالُ والأموال وهلكت المواشي، فقال لهم قيس: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى إخواننا من ذبيان، فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم. فساروا حتّى قدِموا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّيّ، وقيل: على هَرِم بن سِنان بن أبي حارثة ليلاً، وكان عند حِصْن[5] بن حُذَيفة بن بدر. فلمّا عاد ورآهم رحّب بهم وقال: مَنِ القوم؟ قالوا: إخوانك بنو عبس، وذكروا حاجتهم. فقال: نعم وكرامة أُعْلِمُ حصن بن حُذيفة. فعاد إليه وقال: طُرقت في حاجة، قال: أعطيتُها. قال بنو

(١) في النسخة (ت): «عرِض». وقد مرّ التعريف بعراعر قبل قليل.
(٢) في النسخة (ب): «نصار».
(٣) في النسخة (ب): «ورنتهم»، وفي النسخة (ي): «وزمهم»، وفي النسخة (ت): «وربهم».
(٤) في النسخة (ي): «بلت».
(٥) في النسختين: (ب) و(ي): «حصين».

عبس: وجدتُ وفودَهم في منزلي. قال حصن: صالحوا قومَكم، أمّا أنا فلا أدي ولا أتّدي، قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس؛ فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم إليه، فلمّا رآهم قال قيس والربيع بن زياد: نحن رُكبان الموت. قال: بل رُكبان السلْم، إن تكونوا اختللتم إلى قومكم فقد اختلّ[1] قومكم إليكم. ثمّ خرج معهم حتّى أتوا سِناناً فقال له: قمْ بأمر عشيرتك وأصلحْ بينهم فإنّي سأعينُك. ففعل ذلك وتمّ الصلح بينهم وعادت عبْس.

وقيل: إنّ قيس بن زهير لم يسِرْ مع عبْس إلى ذبيان وقال: لا تراني غطفانيّةٌ أبداً وقد قتلتُ أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمّها، ولكنّي سأتوب إلى ربّي، فتنصّر وساح في الأرض حتّى انتهى إلى عُمان، فترهّب بها زماناً، فلقيه حوج[2] بن مالك العبديّ، فعرفه فقتله وقال: لا رحِمني الله إن رحِمتُك.

وقيل: إنّ قيساً تزوّج في النُّمَيْر بن قاسط لمّا عادت عبْس إلى ذبيان، ووُلد له ولداً اسمه فَضالة، فقدِم على النبيّ، ﷺ، وعقد له على مَنْ معه من قومه، وكانوا تسعة وهو عاشرهم.

انقضى حرب داحس والغبراء، والحمد لله.

يوم شِعْب جَبَلَة[3]

كان لَقيط بن زُرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صَعْصَعة للأخذ بثأر أخيه مَعْبد بن زُرارة، وقد ذكرنا موته عندهم أسيراً. فبينما هو يتجهّز أتاه الخبرُ بحِلف بني عبْس وبني عامر، فلم يطمع في القوم، وأرسل إلى كلّ من كان بينه وبين عبْس ذَحْل يسأله الحِلف والتظافر على غزو عبْس وعامر. فاجتمعت إليه أسد، وغطفان، وعمرو بن الجَوْن، ومعاوية بن الجَوْن، واستوثقوا واستكثروا وساروا، فعقد معاوية بن الجون الألوية، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون، وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن زُرارة، وعقد للرباب مع حسّان بن همّام، وعقد لجماعة من بطون تميم مع

---

(١) في النسخة (ي): «أحوج».

(٢) في النسخة (ب): «جرح»، وفي النسخة (ر): «حوج».

(٣) المحبَّر ٢٤٧ و٤٥٨، جمهرة أنساب العرب ٢٨٥ و ٢٩١، سيرة ابن هشام ١/٢٣٠، الروض الأنف ١/٢٣٠، العقد الفريد ٥/١٤١، الأغاني ١١/١٣١، معجم ما استعجم ٢/٣٦٥، الاشتقاق ١٤٥، النقائض ٢/١١٥، مجمع الأمثال ٢/٣٩٨، سبائك الذهب ١١٠، أيام العرب ١٤٩، معجم البلدان ٢/١٠٤، نهاية الأرب ١٥/٣٥٠، المختصر في أخبار البشر ١/٨٠، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٧٢ وما بعدها، ديوان جرير والفرزدق ٢/٧٩٠، التنبيه والإشراف ١٧٥.

عمرو بن عُدَس، وعقد لحنظلة بأسرها مع لَقيط بن زُرارة، وكان مع لَقيط ابنته دَخْتَنوس[1]، وكان يغزو بها[2] معه ويرجع إلى رأيها.

وساروا في جمْعٍ عظيم، لا يشكّون في قتل عبْس وعامر وإدراك ثأرهم، فلقي لقيط في طريقه كَرِب بن صَفْوان بن الحُبَاب السعديّ، وكان شريفاً، فقال: ما منعك أن تسير معنا في غَزَاتنا؟ قال: أنا مشغول في طلب إبلٍ لي. قال: لا بل تريد أن تُنْذِر بنا القوم، ولا أتركك حتّى تحلف أنّك لا تخبرهم، فحلف له، ثمّ ثار عنه وهو مغضب. فلمّا دنا من عامر أخذ خرقة فصرّ فيها حنظلةً وشوكاً وتراباً، وخرقَتَيْن يمانيّتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود، ثمّ رمى بها حيث يسقون ولم يتكلّم. فأخذها معاويةُ بن قُشَيْر[3]، فأتى بها الأحوصَ بن جعفر، وأخبره أنّ رجلاً ألقاها وهم يسقون. فقال الأحوص لقيس بن زهير العبْسيّ: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: هذا من صنع الله لنا، هذا رجل قد أُخذ عليه عهدٌ على أن لا يكلّمكم، فأخبركم أنّ أعداءكم قد غزوكم عددَ التراب، وأنّ شوكتهم شديدة، وأمّا الحنظلة فهي رؤساء القوم، وأمّا الخرقتان اليمانيّتان فهما حيّان من اليمن معهم، وأمّا الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زُرارة، وأمّا الأحجارُ فهي عشر ليال يأتيكم القوم إليها[4]، قد أنذرتُكم فكونوا أحراراً، فاصبروا كما يصبر الأحرار الكرام.

قال الأحوص: فإنّا فاعلون وآخذون برأيك، فإنّه لم تنزل بك شدّة إلّا رأيتَ المخرج منها. قال: فإذا قد رجعتم إلى رأيي فأدخِلوا نَعمكم شِعْب جَبَلَة[5] ثمّ اظمِئُوها هذه الأيّام ولا توردوها الماء، فإذا جاء القوم أخرِجوا عليهم الإبِلَ وانْخُسوها بالسيوف والرماح، فتخرج مذاعِيرَ عطاشاً، فتشغلهم وتفرّق جمعهم، واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم. ففعلوا ما أشار به.

وعاد كَرِب بن صفوان فلقي لَقيطاً فقال له: أنذرتَ القوم؟ فأعاد الحلف له أنّه لم يكلّم أحداً منهم، فخلّى عنه. فقالت دَخْتَنُوس ابنةُ لقيط لأبيها: رُدّني إلى أهلي ولا

---

(١) في حاشية النسخة (ر): «دختنوش». والمثبت يتفق مع الأغاني ١١/ ١٤٤ وانظر عنها في: فصل المقال ٢٨٤، والضبّي ٧ ومجمع الأمثال ٢/ ١٠، وديوان المعاني للعسكري ٢/ ٩٢ طبعة القدسي، والفاخر ٩٠ لابن سلمة، مصر ١٩٦٠.

(٢) في النسخة (ب): «يقودها».

(٣) في النسخة (ي): «بشر».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «إلينا».

(٥) شِعْب جَبَلة: مفتوح الثلاث. جبل ضخم، على مقربة من أُضاخ، بين الشُرَيْف ماء بني نُمَير، وبين الشرف، ماء لبني كلاب. (معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٥) قال في الأغاني ١١/ ١٣٧: جبلة: جبل عظيم له شِعب عظيم واسع، لا يؤتى الجبل إلا من قِبَل الشِعْب، والشِعب متقارب المدخل وداخله متّسع.

تعرّضني لعبْس وعامر فقد أنذرهم لا محالة. فاستحمقها وساءه كلامها وردّها. وسار حتّى نزل على فم الشِّعْب بعساكر جرّارة كثيرة الصواهـل، وليس لهم همّ إلاّ الماء، فقصـدوه. فقال لهم قيس: أخرجوا عليهم الآن الإبِل، ففعلوا ذلك، فخرجت الإبِلُ مذاعيرَ عطاشاً، وهم في أعـراضها وأدبـارها[1]، فخبـطت تميماً ومَنْ معهـا وقطّعتهم، وكـانوا في الشِّعْب، وأبـرزتهم إلى الصحـراء على غيـر تعبيـة. وشُغلوا عن الاجتمـاع إلى ألـويتهم، وحملت عليهم عبْس وعـامر، فـاقتتلوا قتالاً شـديـداً، وكثـرت القتلى في تميم، وكان أوّل من قُتـل من رؤسائهم عمرو بن الجَـوْن، وأسر معـاوية بن الجـون وعمرو بن عمـرو بن عُدُس زوج دَخْتَنُوس بنت لَقيط، وأُسر حاجب بن زُرارة، وانحاز لَقِيط بن زُرارة، فدعا قومه وقد تفرّقوا عنه، فاجتمع إليه نفر يسير، فتحرّز برايته فوق جُرف، ثمّ حمل فقتل فيهم ورجع وصاح: أنا لَقيط، وحمل ثانيةً فقتل وجرح وعاد، فكثر جمعه، فانحطّ الجُرْف بفرسه، وحمل عليه عنترةُ فطعنه طعنة قصم بها صُلبه، وضربه قيس بـالسيف فألقـاه متشحّطاً في دمـه، فذكـر ابنتَه دَخْتَنُوس فقال:

يـا ليتَ شَعْرِي عنـكِ دَخْتَنُـوسُ ... إذا أتـاهـا الخبـرُ المـرمـوسُ[2]
أتَـحْـلقِ الـقـرونَ أم تَـمِسُ[3] ... لا بـلْ تَـمـيسُ إنّـهـا عَـروسُ

ثمّ مات وتمّت الهزيمة على تميم وغطفان، ثمّ فدوا حاجباً بخمسمائة من الإبـل، وفدوا عمرو بن عمـرو بمائتَيْن من الإبـل، وعاد من سلم إلى أهله وقـالت دَخْتَنُوسُ تـرثي أباها قصائد، منها:

عـثـر الأغـرُّ[4] بخيـرِ خِنـ ... ـدِفَ كـهـلِهـا وشـبـابـهـا
وأضـرِّهـا لـعـدوِّهـا ... وأفـكِّـهـا لـرقـابـهـا
وقـريعِهـا ونـجيـبِهـا ... في المُـطْبِقـاتِ ونـابها
ورئـيسِـهـا عـنـد الـملو ... كِ وزَيْـنِ يـوم خـطـابـهـا
وأتـمِّـهـا نـسـبـاً إذا ... رجعـت إلى أنـسـابـهـا[5]

---

(١) في النسخة (ي): «وأثارها».
(٢) في الأغاني ١١/١٤٤: «إذا أتاك الخبر المَرْسُوسُ».
(٣) في الشعر والشعراء ٢/٦٠٠: «أتخمش الخدّين».
(٤) في الأغاني ١١/١٤٦: «بكَر النَّعِيّ».
وفي العقد الفريد ٥/١٤٤ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٣ ورد:
عـن خـيـر خِـنْـدَفَ كـلّـهـا ... مـن كـهـلـهـا وشـبـابـهـا
(٥) في العقد الفريد ٥/١٤٤ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٣.
وأتـمَّـهَـا حـسـبـاً إذا ... ضُـمَّـت إلـى أحـسـابـهـا

فَـرَعَـى[1] عمـوداً لـلعشيـ ـرة رافـعـاً لـنـصـابـهـا
ويـعـولـهـا ويـحـوطـهـا ويـذبّ عـن أحـسـابـهـا
ويـطا مـواطـن[2] لـلعـد وّ فـكـان لا يُـمْـشَـى بـهـا
فـعْـلَ المُـدِلّ مـن الأسـو د لـحَـيْـنـهـا وتـبـابـهـا
كـالـكـوكـب الـدُّرّيّ فـي سـمـاءَ[3] لا يـخـفـى بـهـا
عـيـث الأغـرُّ بـه وكـ ـلُّ مـنـيّـة لـكـتـابـهـا
فـرّتْ بـنـو أسـد فـرا رَ[4] الـطيـرِ عـن أربـابـهـا
وهَـوازنٌ أصـحـابـهـم كـالـفـأر فـي أذنـابـهـا[5]

وذكر محمّد بن إسحاق في يومِ جَبَلَة غير ما ذكرنا، قـال: كان سببه أنّ بني خِنْدفَ كـان لهم على قيس أكلٌ تـأكله[6] القُعدُد من خِنْـدَف، فكـان ينتقـل فيهم حتّى انتهى إلى تميم، ثمّ من تميم إلى بني عمـرو بن تميم، وهم أقلّ بـطن منهم وأذلّـه، فـأبت قيس أن تعطي الأكل وامتنعت منـه، فجمعت تميم وحالفت غيـرها من العـرب وساروا إلى قيس، فذكر القصّة نحو ما تقدّم وخالف في البعض، فلا حاجة إلى ذكره.

وفي هذا اليوم وُلد عامر بن الطّفَيْل العامريّ[7].

وقد قال بعض العلماء إنّ المجوسيّة كان يـدين بها بعض العـرب بالبحـرَيْن، وكان زُرارة بن عُدُس وابناه حاجب ولقيط والأقرع بن حابس وغيرهم مجـوساً، وإنّ لقيـطاً تزوّج ابنتَهُ دَخْتَنُوس وسمّاها بهذا الاسم الفارسيّ، وإنّه قُتل وهي تحته، فقال في ذلك:

يـا ليـتَ شعـري عنـكِ دَخْتَنُـوس

الأبيات. والأول أصحّ، والله أعلم.

(١) في النسخة (ت): «فرعا».
(٢) في النسخة (ر): «مواطى».
(٣) في الطبعة الأوربية «سيماء».
(٤) في النقائض، والأغاني «حُرُودَ». والمثبت يتّفق مع العقد الفريد، ونهاية الأرب.
(٥) راجع الأبيات مع تقديم وتأخير، واختلاف في الألفاظ، في النقائض ٦٦٦ طبعة أوربة، الأغاني ١١/١٤٦، والعقد الفريد ٥/١٤٤، ونهاية الأرب ١٥/٣٥٣.
(٦) في النسخة (ر): «يأخذه».
(٧) قال أبو الفرج في الأغاني ١١/١٣٧، ١٣٨: كانت كبشة بنت عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذ حاملاً بعامر بن الطفيل، فقالت: ويلكم يا بني عامر ارفعوني، فوالله إنّ في بطني لَعِزّ بني عامر. . . فـزعموا أنها ولدت عامراً يوم فرغ الناس من القتال.

يوم ذات نَكِيف[1]

كان بنو بكر بن عبد مَناة بن كِنانة مُبغضين لقُرَيْش، مضطَّغنين عليهم ما كان من قُصَيّ حين أخرجهم من مكّة، مع مَنْ أخرج من خُزاعة، حين قسّمها رباعاً وخِططاً بين قريش. فلمّا كانوا على عهد عبد المطّلب همّوا بإخراج قريش من الحرم، وأن يقاتلوهم حتّى يغلبوهم عليه، وعَدَتْ بنو بكر على نعَم لبني الهُون بن خُزَيْمة فاطّردوها، ثمّ جمعوا جموعهم، وجمعتْ قريش جموعهم واستعدتّ، وعقد عبد المطّلب الحلف بين قريش والأحابيش، وهم بنو الحارث بن عبد مَناة، وبنو الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْركة، وبنو المُصْطَلق من خُزاعة، فلقوا بني بكر ومن انضمّ إليهم، وعلى الناس عبد المطّلب، فاقتتلوا بذات نَكيف، فانهزم بنو بكر وقُتلوا قتلاً ذريعاً، فلم يعودوا لحرب قريش، قال ابن شُعلة[2] الفِهْريّ:

فللّه عينَا مَنْ رأى من عصابة ... غَوَتْ غَيَّ بكر يومَ ذات نَكيفِ
أناخوا إلى أبياتنا ونسائنا ... فكانوا لنا ضيفاً[3] بشرّ[4] مَضيفِ[5]

فقتل يومئذ عبدُ بن السفّاح القاريّ من القارة: قَتادةَ بن قيس أخا بَلْعاء بن قيس، واسم بلعاء مُساحق[6].

ويومئذ قيل:

قد أنصف القارةَ من راماها.

والقارة من ولد الهوْن بن خُزَيْمة، وهو من ولد عَضَل[7] بن الدِّيش؛ قال رجل منهم:

دعونا قارةً لا تُنْفرونا ... فنُجْفِلَ مثل إجفال الظليم

---

(١) ذو نكيف: موضع من ناحية يلَمْلَم من نواحي مكة. (معجم البلدان ٥/٣٠٣).
والخبر عن يوم نكيف موجود في كتاب «المنمّق» لابن حبيب ٨٣ ـ ٨٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٧٥ ـ ٧٧.

(٢) في النسخة (ر): «سعد»، والمثبت يتفق مع مصادر الخبر.

(٣) في النسخة (ي): «يوماً».

(٤) في النسخة (ب): «لشرّ». وفي معجم البلدان ٥/٣٠٣ «كشرّ».

(٥) البيتان في معجم البلدان، والمنمّق لابن حبيب ٨٤، وأنساب الأشراف ١/٧٦، والبيت الأول فقط في كتاب «المرصّع» لابن الأثير ٣٣٦.

(٦) أنظر عنه في: نسب قريش ٣٩٢، والمحبَّر ١٩٥، جمهرة أنساب العرب ١٨١، الحيوان ٥/١٦٧، المعارف ٥٨٠.

(٧) في النسخة (ب): «عضلة».

وقيل: بهذا البيت سُمّوا قارةً[١].

وكان يقال للقارة: رُماة الحَدَقِ[٢].

ذِكْر الفِجار[٣] الأوّل والثاني

أمّا الفِجار الأوّل[٤] فلم يكن فيه كثيرُ أمرٍ ليُذْكر، وإنّما ذكرناه لئلاّ يُرَى ذِكْر الفِجار الثاني، وما كان [فيه] من الأمور العظيمة، فيُظَنّ أنّ الأوّل مثله وقد أهملناه، فلهذا ذكرناه.

قال ابن إسحاق: كان الفِجار الأوّل بين قريش ومن معها من كِنانة كلّها، وبين قيس عَيْلان. وسببه أنّ رجلاً من كِنانة كان عليه دَيْن لرجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فأُعدم الكنانيّ، فوافى النصريّ سوق عُكاظ بقرد وقال: من يبيعني[٥] مثل هذا بما لي على فلان الكِنانيّ؟ فعل ذلك تعييراً للكِنانيّ وقومه، فمرّ به رجلٌ من كِنانة فضرب القرد بالسيف فقتله أنفةً ممّا قال النصريّ، فصرخ النصريّ في قيس، وصرخ الكِنانيّ في كِنانة، فاجتمع الناسُ وتحاوروا حتّى كاد يكون بينهم القتال، ثمّ اصطلحوا.

وقيل: كان سببه أنّ فتيةً من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر، وهي وضيئة عليها بُرْقُع، فقالوا لها: اسْفِرِي لننظر إلى وجهك، فلم تفعل. فقام غلام منهم فشكّ ذيل درعها[٦] إلى ظهرها ولم تشعر، فلمّا قامت انكشفت دُبُرُها، فضحكوا وقالوا: منعْتِنا النظرَ إلى وجهك، فقد نظرنا إلى دُبُرِك. فصاحت المرأةُ: يا بني عامر فُضِحْتُ! فأتاها الناس واشتجروا[٧]، حتّى كاد يكون قتال، ثمّ رأوا أنّ الأمرَ يسير فاصطلحوا.

وقيل: بل قعد رجل من بني غِفار[٨] يقال له أبو معشر بن مِكْرز، وكان عازماً[٩] منيعاً

(١) أنظر معجم البلدان ٤/٢٩٥.

(٢) الخبر بطوله في المنمّق، وأنساب الأشراف.

(٣) الفِجار: بكسر الفاء. سُمِّيت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرّمونها ففجروا فيها.

(٤) أنظر عن الفجار الأول في: سيرة ابن هشام ١/٢٠٩، والعقد الفريد ٥/٢٥١، والروض الأنف ١/٢٠٩، ونهاية الأرب ١٥/٤٢٣، والمعارف ٦٠٣، ومروج الذهب ٢/٢٧٥، والمفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٨٠، وفيه الفجار الثالث، والعمدة ٢/٢٠٧ و٢١٩، وأيام العرب ٣٢٥، والسيرة الحلبية ١/١٤١، وتاريخ الخميس ١/٢٥٥ والأغاني ٢٢/٥٤.

(٥) في النسخة (ت): «يكتفي».

(٦) في العقد الفريد ٥/٢٥٢ «فشدّ دُبُر دِرْعها»، والمثبت يعني أنه جمعه إلى ما فوقه بشوكة، كما في الأغاني ٢٢/٥٥، ٥٦.

(٧) في النسخة (ر): «واستجيروا».

(٨) في النسختين (ب) و(ي): «غفان»، وفي النسخة (ر): «عقال».

(٩) في النسختين (ب) و(ي): «غازياً».

في نفسه، وكان بسوق عُكاظ، فمدّ رِجْله ثمّ قال:

نحن بنو[1] مُدْركة بن خِنْدِفْ مَنْ يطعنوا في عينه لا يَطْرِفْ
ومَن يكونوا قومَهُ يُغَطْرَف كأنّه لُجّة بحر مُسْدِفْ[2]

أنا والله أعزّ العَرَب، فمن زعم أنّه أعزّ منّي فلْيضْرِبْها بالسيف. فقام رجل من قيس يقال له أحمر بن مازن فضربها بالسيف، فخرشها خرشاً غير كثير، فاختصم الناسُ ثمّ اصطلحوا.

(بنو نصر: بالنون).

وأمّا الفِجار الثاني[3]، وكان بعد الفيل بعشرين سنة، وبعد موت عبد المطّلب باثنتيْ عشرة سنة، ولم يكن في أيّام العرب أشهر منه ولا أعظم، فإنّما سُمّي الفِجار لِما استحلّ الحيّان: كِنانة وقيس فيه من المحارم، وكان قبله يوم جَبَلَة، وهو مذكور من أيّام العرب، والفجار أعظم منه.

وكان سببه أنّ البرّاض بن قيس بن رافع الكِنانيّ، ثم الضَّمْريّ، كان رجلاً فاتكاً خليعاً[4]، قد خلعه قومُه لكثرة شرّه، وكان يُضْرب المثل بفتكه فيقال: «أفْتَكُ من البرّاض».

قال بعضهم:

والفتى مَنْ تعرّفته الليالي فَهْوَ فيها كالحيّة النضناضِ
كلّ يوم له بصرْف الليالي فتكةٌ مثلُ فتكة البرّاضِ

فخرج حتّى قدِم على النُّعمان بن المنذر، وكان النُّعمان يبعث كلّ عام بلطيمة للتجارة إلى عُكاظ، تُباع له هناك[5]، وكان عُكاظ، وذو المجاز، ومجنّة، أسواقاً تجتمع بها العرب كلّ عام، إذا حضر الموسم، فيأمن بعضهم بعضاً، حتّى تنقضي أيّامها، وكانت مجنّة بالظَّهْران، وكانت عُكاظ بين نخلة والطائف، وكان ذو المجاز بالجانب الأيسر، إذا وقفتَ على الموقف، فقال النعمان، وعنده البرّاض، وعُرْوة بن عُتبة بن جعفر بن كلاب،

---

(١) في الأصل «أنا ابن».
(٢) في طبعة صادر ١/٥٨٩ «يسرف» بالراء، وهو خطأ، والتصحيح من العقد الفريد ٥/٢٥١، ونهاية الأرب ١٥/٤٢٣، والأغاني ٢٢/٥٥ ومسدف: مظلم.
(٣) أنظر عنه في: العقد الفريد ٥/٢٥٣، سيرة ابن هشام ١/٢٠٩، المعارف ٦٠٣، نهاية الأرب ١٥/٤٢٥، السيرة الحلبية ١/١٤٢، المحبّر ١٩٥، ١٩٦.
(٤) المحبّر ١٩٢.
(٥) أنظر حول ذلك: الأغاني ٢٢/٥٧، وأنساب الأشراف ١/١٠٠، ١٠١.

المعروف بالرحّال، ـ وإنّما قيل له ذلك لكثرة رحلته إلى الملوك ـ: مَنْ يُجيز لي لطيمتي هذه حتّى يُبلغها عُكاظ؟ فقال البرّاض: أنا أُجيزها، أبيتَ اللعن، على كِنانة. فقال النعمان: إنّما أريد مَنْ يُجيزها على كِنانة وقيس! فقال عُرْوة: أكلبٌ خليع يُجيزها لك، أبيتَ اللعنَ! أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل تِهامة، وأهل نجد. فقال البرّاض، وغضب: وعلى كِنانة تُجيزها يا عُرْوة؟ قال عُروة: وعلى[1] الناس كلّهم.

فدفع النعمان اللطيمةَ إلى عُروة الرحّال، وأمره بالمسير بها، وخرج البرّاضُ يتبع أثره، وعُروة يرى مكانه، ولا يخشى منه، حتّى إذا كان [عُروة] بين ظهرَيْ قومه، بوادٍ يقال له تَيْمَن، بنواحي فَدَك، أدركه البرّاضُ بن قيس، فأخرج قداحه يستقسم بها في قتل عُروة، فمرّ به عُروة فقال: ما تصنع يا برّاض؟ فقال: أستقسم في قتلك أَيُؤذَن لي أم لا. فقال عروة: استُك أضْيق من ذلك! فوثب إليه البرّاض بالسيف فقتله. فلمّا رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلاً انهزموا، فاستاق البرّاضُ العيرَ وسار على وجهه إلى خَيْبَر، وتبِعه رجلان من قيس ليأخذاه، أحدهما غَنَويّ، والآخر غطفانيّ، اسم الغنويّ أسد بن جُويْن[2]، واسم الغَطَفانيّ مُساور بن مالك، فلقيهما البرّاض بخيبر أوّل الناس، فقال لهما: مَنِ الرجلان؟ قالا: من قيس، قدِمنا لنقتل البرّاض. فأنزلهما وعَقَلَ راحلَتَيْهما، ثمّ قال: أيُّكما أجْرأ عليه وأجْوَد سيفاً؟ قال الغطفانيّ: أنا. فأخذه ومشى معه ليدلّه بزعْمه على البرّاض، فقال للغنويّ: احفظْ راحلَتَيْكما، ففعل، وانطلق البرّاض بالغطفانيّ: حتّى أخرجه إلى خربة في جانب خيبر، خارجاً من البيوت، فقال للغطفانيّ: هو في هذه الخربة إليها يأوي، فأمهِلني حتّى أنظر أهو فيها. فوقف ودخل البرّاض ثمّ خرج فقال: هو فيها وهو نائم، فأرِني سيفك حتّى أنظر إليه أضاربٌ هو أم لا، فأعطاه سيفَه، فضربه به حتّى قتله، ثمّ أخفى السيفَ، وعاد إلى الغنويّ فقال له: لم أر رجلاً أجبن من صاحبك، تركتُهُ في البيت الذي فيه البرّاض وهو نائم، فلم يقدم عليه. فقال: انظرْ لي[3] مَنْ يحفظ الراحلتَيْن حتّى أمضي إليه فأقتله. فقال: دعهما وهما عليّ، ثمّ انطلقا إلى الخربة، فقتله وسار بالعير إلى مكّة[4]، فلقي رجلاً من بني أسد بن خُزَيْمة، فقال له البرّاض: هل لك إلى أن أجعل لك جُعلاً، على أن تنطلق إلى حرب بن أُميّة وقومي، فإنّهم قومي وقومك، لأنّ أسد بن خُزَيْمة من خِنْدف أيضاً، فتخبِرهم أنّ البرّاض بن قيس قتل عُروة الرحّال، فلْيحذروا قيساً! وجعل له عَشْراً من الإبل. فخرج

(١) في الأصل «ومن».

(٢) في النسخة (ت): «خزيمة».

(٣) في النسخة (ب): «أتعرف لي».

(٤) الخبر في العقد الفريد ٥/٢٥٥، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٥.

الأسديّ حتّى أتى عُكاظ، وبها جماعة [من] الناس، فأتى حربَ بنَ أميّـة فأخبـره الخبر، فبعث إلى عبد الله بن جُدعان التيميّ، وإلى هشام بن المُغيـرة المخزوميّ، وهـو والد أبي جهلٍ، وهما من أشراف قريش وذوي السنّ منهم، وإلى كـلّ قبيلة من قريش أحضـر منها رجلاً، وإلى الحُلَيس[1] بن يزيد الحارثيّ، وهو سيّد الأحابيش، فأخبرهم أيضاً. فتشـاوروا وقالوا: نخشى من قيس أن يطلبوا ثأر صاحبهم منّـا، فإنّهم لا يـرضون أن يقتلوا بـه خليعاً من بني ضَمْـرة. فاتّفق رأيهم على أن يـأتوا أبـا براء عـامر بن مـالك بن جعفـر بن كِلاب مُلاَعبَ الأسنّة، وهو يومئذ سيّد قيس وشريفها، فيقـولوا لـه: إنّه قـد كان حـدث بين نجد وتِهامة، وإنّه لم يأتنَا علمه، فأجِزْ بين الناس حتّى تَعلم وتُعلم.

فأتوه وقالوا له ذلك، فأجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له، ثمّ قام نفر من قـريش فقالوا: يا أهل عُكاظ إنّه قد حدث في قومنا بمكّـة حدثٌ أتـانا خبـره، ونخشى إن تخلّفنا عنهم أن يتفاقم الشرّ، فلا يروعنّكم تحمّلُنـا. ثمّ ركبوا على الصعب والـذّلُول إلى مكّـة. فلمّـا كان آخـر اليوم أتى عـامرَ بن مـالك مـلاعب الأسنّة الخبـرُ فقـال: غـدرتْ قـريش، وخـدعني حرب بن أميّـة، والله لا تنزل[2] كِنـانـة عُكـاظَ أبـداً. ثمّ ركبـوا في طلبهم حتّى أدركـوهم بنخلة، فاقتتـل القومُ، فـاشتعلتْ قيس، فكـادت قـريش تنهـزم، إلاّ أنّهـا على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به. فلم يزالوا كذلك حتّى دخلوا الحرم مع الليل، وكان رسول الله، ﷺ، معهم، وعمره عشرون سنة[3].

وقال الزُّهريّ: لم يكن معهم، ولو كان معهم لم ينهزموا[4].

وهذه العلّة ليست بشيء، لأنّه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه ويُقْتَلون، وإذا كان في جمْعٍ قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد.

ولمّا دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم: يا معشر قريش إنّا لا نتـرك دم عُروة وميعادنا عُكاظ في العام المقبل؛ وانصـرفت إلى بلادهـا يحرّض بعضهـا بعضاً، ويبكون عُرْوة الرحّال.

ثمّ إنّ قيساً جمعتْ جموعها ومعها ثقيف وغيرها، وجمعت قـريش جموعهـا، منهم كِنانة جميعها، والأحابيش، وأسد بن خُزَيْمَة، وفرّقت قريش السلاح في النـاس، فأعـطى

---

(١) في الطبعة الأوربية «الجليس»، والتصحيح من أنساب الأشراف ١/١٠١، والأغاني ٢٢/٥٩.

(٢) في النسخة (ي): «تترك».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢١٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية ـ بتحقيقنا) ٦١، الأغاني ٢٢/٧٣.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٠٣.

عبدُ الله بن جُدعان مائة رجل سلاحاً تامّاً، وفعل الباقون مثله[1].

وخرجت قريش للموعد على كلّ بطن منها رئيس، فكان على بني هاشم: الزّبَيْر بن عبد المطّلب، ومعه رسول الله، ﷺ، وإخوته أبو طالب، وحمزة، والعبّاس بنو عبد المطّلب.

وعلى بني أُميّة وأحلافها: حرب بن أُميّة.
وعلى بني عبد الدار: عِكْرمةُ بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار.
وعلى بني أسد بن عبد العُزّى: خُوَيْلدُ بن أسد.
وعلى بني مخزوم: هشام بن المُغيرة أبو أبي جهل.
وعلى بني تَيْم: عبدُ الله بن جُدعان.
وعلى بني جُمَح: مَعْمر[2] بن حَبيب بن وهب.
وعلى بني سَهْم: العاص بن وائل.
وعلى بني عديّ: زيدُ بن عمرو بن نُفَيْل، والد سعيد بن زيد.
وعلى بني عامر بن لؤيّ: عمرو بن عبد شمس، والد سُهَيْل بن عمرو.
وعلى بني فِهْر: عبدُ الله بن الجرّاح، والد أبي عُبَيْدة.
وعلى الأحابيش: الحُلَيْس بن يزيد، وسفيان[3] بن عُوَيْف[4] هما قائداهم، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مَناة: كِنانة، وعَضَل، والقارة، والدِّيش، من بني الهُون بن خُزَيْمة، والمُصْطلق بن خُزاعة، سُمّوا بذلك لحلفهم بني الحارث.

والتحبّش التجمّع.
وعلى بني بكر: بَلعاء بن قيس.
وعلى بني فِراس بن غَنْم من كِنانة: عُمَيْرُ بن قيس جِذْلُ الطعان.
وعلى بني أسد بن خُزَيْمة: بِشْر بن أبي حازم.
وكان على جماعة الناس حرب بن أُميّة، لمكانه من عبد مَناف سِنّاً[5] ومنزلةً[6].

وكانت قيس قد تقدّمتْ إلى عُكاظ قبل قريش، فعلى بني عامر: مُلاعب الأسنّة أبو بَراء.

(١) الأغاني ٢٢/٦٢.
(٢) في النسخة (ر): «عمر».
(٣) في النسخة (ي): «عثمان».
(٤) في النسخة (ر): «عريف».
(٥) في النسخة (ت): «بيتاً».
(٦) قارن بالأغاني ٢٢/٦٢، ٦٣، وأنساب الأشراف ١/١٠٢.

وعلى بني نصر، وسعد، وثقيف: سُبَيع بن ربيع[1] بن معاوية.
وعلى بني جُشَم: الصِّمَّة والد دُرَيْد.
وعلى غَطَفان: عَوف بن أبي حارثة المرّيّ.
وعلى بني سُلَيْم: عبّاسُ بن زعل بن هنيّ بن أنس.
وعلى فَهْم، وعَدْوان: كِدامُ بن عمرو.

وسارت قريش حتّى نزلت عُكاظ وبها قيس. وكان مع حرب بن أميّة إخوته: سفيان، وأبو سفيان، والعاص، وأبو العاص بنو أميّة، فعقل حربُ نفسه، وقيّد سفيان وأبو العاص نفسيهما، وقالوا: لن يبرح رجل منّا مكانه حتّى نموت أو نظفر، فيومئذ سُمّوا العنابس[2].

والعنبس: الأسد.

واقتتل الناس قتالاً شديداً، فكان الظفر أوّل النهار لقيس، وانهزم كثير من بني كِنانة وقريش، فانهزم بنو زُهْرة وبنو عديّ، وقُتل مَعْمَر بن حبيب الجُمَحيّ، وانهزمت طائفة من بني فِراس، وثبت حرب بن أُميّة، وبنو عبد مَناف، وسائر قبائل قريش، ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكِنانة إلى أن انتصف النهار. ثمّ عاد الظفر لقريش وكِنانة، فقتلوا من قيس فأكثروا، وحمي القتال واشتدّ الأمرُ فقُتل يومئذ تحت راية بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة مائة رجل وهم صابرون، فانهزمت قيس، وقُتل من أشرافهم عبّاس بن زِعْل السُّلَميّ وغيره. فلمّا رأى أبو السيّد عمّ[3] مالك بن عوف النصريّ ما تصنع كِنانة من القتل نادى: يا معشر بني كِنانة أسرفتم في القتل. فقال ابن جُدْعان: إنّا معشرٌ يُسرِف.

ولمّا رأى سُبَيْع بن ربيع بن معاوية هزيمةَ قبائل قيس، عَقَلَ نفسه واضطّجع وقال: يا معشر بني نصر قاتلوا عنّي أو ذَرُوا. فعطفت عليه بنو نصر، وجُشَم، وسعد بن بكر، وفهم، وعَدوان، وانهزم باقي قبائل قيس، فقاتل هؤلاء أشدّ قتالٍ رآه الناس. ثمّ إنّهم تداعوا إلى الصلح، فاصطلحوا على أن يعدّوا القتلى، فأيّ الفريقَيْن فضل له قتلى أخذ دِيتهم من الفريق الآخر، فتعادّوا القتلى فوجدوا قريشاً وبني كِنانة قد أفضلوا[4] على قيس عشرين رجلاً[5]، فرهن حرب بن أميّة يومئذ ابنَه أبا سفيان في دِيات القوم حتّى يؤدّيها،

---

(١) في النسختين (ي) و(ر): «ربيعة».
(٢) الأغاني ٢٢/٦٦.
(٣) عَمّ، ساقطة من النسخة (ر).
(٤) في النسختين: «(ب) و(ت)»: «فضلت».
(٥) الأغاني ٢٢/٧٣.

ورهن غيرَهُ من الرؤساء، وانصرف الناسُ بعضهم عن بعض، ووضعوا الحربَ، وهدموا ما بينهم من العداوة والشرّ، وتعاهدوا على أن لا يؤذي بعضهم بعضاً فيما كان من أمر البرّاض وعُرْوة.

يوم ذي نَجَب[1]

وكان من حديث يوم ذي نَجَب أنّ بني عامر لمّا أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جَبَلَة رجوا أن يستأصلوهم، فكاتبوا حسّان بن كَبْشة[2] الكِنْديّ، وكان ملكاً من ملوك كِندة، وهو حسّان بن معاوية بن حُجْر، فدعوه إلى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم، فأخبروه أنّهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم، فأقبل معهم بصنائعه ومَنْ كان معه. فلمّا أتى بني حنظلة خبرُ مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو: يا بني مالك إنّه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد، فانتقلوا من مكانكم، وكانوا في أعالي الوادي ممّا يلي مجيء القوم، وكانت بنو يربوع بأسفله، فتحوّلت بنو مالك حتّى نزلت خلف بني يربوع، وصارت بنو يربوع تلي الملك.

فلمّا رأوا ما صنع بنو مالك استعدّوا وتقدّموا إلى طريق الملك. فلمّا كان وجه الصبح، وصل ابنُ كبشة فيمن معه، وقد استعدّ القوم فاقتتلوا. فلمّا رآهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا إليهم وشهدوا معهم القتال، فاقتتلوا مليّاً، فضرب حُشَيْش[3] بن نِمْران[4] الرياحيّ ابنَ كبشة الملك على رأسه فصرعه، فمات، وقُتل عبيدة بن مالك بن جعفر، وانهزم طُفَيْل بن مالك على فرسه قُرْزُل[5]، وقُتل عمرو بن الأحوص بن جعفر، وكان رئيس عامر، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة[6].

قال جرير في الإسلام يذكر اليوم بذي نَجَب:

بذي نَجَبٍ ذُدنا وواكَلَ مالك ... أخاً لم يكنْ عند الطّعان[7] بواكِل

وكان يوم ذي نَجَب بعد يوم جَبَلَة بسنة.

---

(١) نَجَب: بفتح أوله وثانيه، وباء موحّدة. وادٍ قرب ماوان في ديار بني محارب. (معجم البلدان ٥/٢٦١).

(٢) في النسخة (ر): «معوية».

(٣) في النسختين: (ب) و(ي): «جشيش».

(٤) في النسخة (ب): «نمر»، وفي النسخة (ت): «هزان».

(٥) في النسخة (ب): «قزرك».

(٦) أنظر حول هذا اليوم: سيرة ابن هشام ٢٣١/١، معجم ما استعجم ١٢٩٧/٤، معجم البلدان ٢٦١/٥، النقائض ٣٠٢ و٥٨٧ و٩٣٢ و١٠٧٩، والعمدة ٢٠١/٢.

(٧) في النسخة (ي): «الحفاظ».

وبقي الأحوص بعد ابنه عمرو يسيراً، وهلك أسفاً عليه[1].

يوم نَعْف قُشاوة[2]

وهو يوم لشيبان على تميم.

قال أبو عبيدة: أغار بِسطام بن قيس على بني يربوع من تميم، وهم بنَعْف قُشاوة[3]، فأتاهم ضحىً، وهو يوم ريح ومطر، فوافقَ النَّعمَ حين سُرِّح، فأخذه كلّه ثمّ كرّ راجعاً، وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه، وفيهم عُمارة بن عُتَيْبة[4] بن الحارث بن شهاب، فكرّ عليه بِسطام فقتله، ولحقهم مالك بن حِطّان اليربوعيّ فقتله[5]، وأتاهم أيضاً بجُبَيْر بن أبي مُلَيْل فقتله بِسطام[6]، وقتلوا من يربوع جمعاً وأسروا آخرين، منهم: مُلَيْل بن أبي مُلَيْل، وسلِموا وعادوا غانمين. فقال بعض الأسرى لبِسطام: أيَسُرّك أنّ أبا مُلَيْل مكاني؟ قال: نعم. قال: فإن دللتُك عليه أتطلقني الآن؟ قال: نعم. قال: فإنّ ابنه بُجَيْراً كان أحبّ خلق الله إليه، وستجده الآن مُكِبّاً عليه يقبّله[7] فخُذْه أسيراً. فعاد بِسطام فرآه كما قال، فأخذه أسيراً وأطلق اليربوعيّ. فقال له أبو مُلَيْل: قتلتَ بُجَيْراً وأسرتَني وابني مُليلاً! والله لا أطعمُ الطعام أبداً وأنا مُوثق. فخشي بِسطام أن يموت، فأطلقه بغير فداء، على أن يفادي مُليلاً، وعلى أن لا يُتْبعه بدم ابنه بُجَيْر، ولا يبغيه غائلة، ولا يدلّ له على عورة، ولا يغير عليه، ولا على قومه أبداً، وعاهده على ذلك، فأطلقه[8] وجزّ ناصيته، فرجع إلى قومه وأراد الغدر ببِسطام والنكث به، فأرسل بعض بني يربوع إلى بِسطام بخبره، فحذره؛ وقال مُتَمّم بن نُوَيْرة[9]:

أبلغْ شِهَابَ بني بكرٍ وسيّدَها ... عنّي بذاك أبا الصَّهْباء بِسطامَا
أُرْوِي الأسنّة من قومي فأُنهِلُها ... فأصبحوا في بقيع الأرض نوّامَا

(١) العمدة ٢/٢٠١، أيام العرب ٣٦٦.

(٢) قُشاوَة: بالضم، وبعد الألف واو. موضع متّصل بنقا الحَسَن. (معجم ما استعجم ٣/١٠٧٥) وانظر عن اليوم في: النقائض ١٩، والعمدة ٢/١٩١، ومعجم البلدان ٤/٣٥١.

(٣) وفي النسخة (ر): «وحيلوه»، وفي النسخة (ب) «جباله»، وفي الحاشية «وحياله».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «عيينة».

(٥) في النسخة (ر): «فضرب فسقط ثم مات بعد أيام».

(٦) قال ابن الأعرابي: كان لبسطام أربع وقعات: أُسِر يوم الصحراء، وظفر يوم قُشاوة، وانهزم يوم العُظَالى، وقُتل يوم النَّقا. (معجم ما استعجم ٣/١٠٧٥).

(٧) في الطبعة الأوربية «بقتله».

(٨) ساقطة من النسخة (ر).

(٩) أنظر عنه: طبقات الشعراء لابن سلام ١٦٩ ـ ١٧٤، الأغاني ١٥/٢٩٨، معجم الشعراء للمرزباني ٤٦١، خزانة الأدب ١/٢٣٤، أسماء المغتالين ٢٤٤، الشعر والشعراء ١/٢٥٤.

لا يـطـبقـون إذا هبّ الـنيـام ولا في مـرقدٍ يَحْلُمـون الدهـرَ أحلامـا
أُشجي تميمَ بن مُـرّ لا مـكـايـدةً حتى استعـادوا لـه أسـرى وأنعـامـا
هـلّا أسيراً فـدتـك النفس تـطعمـه ممّـا أراد وقـدمـاً كنت مـطعـامـا

وهي أبيات عدّة.

يوم الغَبِيط[1]

وهـو يـوم كـانت الحـرب فيـه بين بني شيبـان وتميم، أُسـر فيـه بِسـطام بن قيس الشيبانيّ.

وسبب ذلك أنّ بِسطام بن قيس، والحَوْفزان بن شَـريك، ومَفْـروق بن عمرو سـاروا في جمْعٍ من بني شيبان إلى بلاد تميم، فأغاروا على ثعلبة بن يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضَبّة، وثعلبة بن عـديّ بن فزارة، وثعلبـة بن سعد بن ذُبيـان، وكانـوا متجاورين بصحـراء فَلْج[2]، فاقتتلوا، فانهزمت الثعالبة، وقُتل منهم مقتلة عـظيمة، وغنم بنـو شيبان أمـوالهم، ومرّوا على بني مالك بن حنظلة من تميم، وهم بين صحـراء فَلْج وغَبِيط المَدَرَة فـاستاقـوا إبلهم. فركبت إليهم بنو مالك، يَقْدُمهم عُتَيْبة بن الحـارث بن شِهاب اليـربوعيّ، وفـرسان بني يـربوع، وسـاروا في أثر بني شيبـان، ومعه من رؤسـاء تميم الأحَيْمِـر[3] بن عبـد الله، وأَسَيد بن جباة، وحُرّ[4] بن سعد، ومـالك بن نُـوَيْرة، فـأدركوهم بغَبِيط المَـدَرَة فقاتلوهم. وصبر الفريقان، ثمّ انهزمت شيبان، واستعادت تميم ما كانـوا غنموه من أمـوالهم، وقتلت بنـو شيبان أبـا مرحب ربيعـة بن حصيّة[5]؛ وألـحّ عُتَيْبـة بن الحـارث على بِسـطام بن قيس فأدركه فقـال له: استـأسرْ أبـا الصهباء، فـأنا خيـر لك من الفَـلاة والعطش. فـاستأسـر له بِسطام بن قيس. فقال بنو ثعلبة لعُتَيْبة: إنّ أبا مرحب قد قُتـل، وقد أسـرتَ بِسطامـاً، وهو

(١) النقـائض ٧٥ و١١٣٢، العقد الفـريد ١٩٦/٥، نهـاية الأرب ٣٨٨/١٥، سبـائك الـذهب ١١٤ ويقـال لـه أيضاً: يوم الثعالب.

(٢) ضُبـطت في طبعة صـادر ٥٩٨/١ «فَلَج» بالتحـريـك في أولـه وثـانيـه، ومـا أثبتنـاه عن: معجم مـا استعجم ١٠٢٧/٣ بفتح أوله، وإسكان ثانيه، قال (١٠٢٨/٣):
«وبصحراء فَلْج أغارت بكر على الثعالبة، ورئيس بكر بسطام بن قيس، فهُزمت الثعالبة، واستاقوا أمـوالهم.. فهو يوم صحراء فَلْج، ويوم الثعالب، وكان هؤلاء كلهم متجاورين بصحراء فَلْج من ديـار بني تميم. ثم أغار بسطام على مالك بن يربوع وهم بين صحراء فلْج، وبين غبيط المَدَرَة، فاكتسحوا إبلهم». وهذا النّص يتفق مع رواية المؤلّف هنا.

(٣) في الأصل «الأجيم».

(٤) في النسخة (ب) «حريز»، وفي النسخة (ت): «جهر».

(٥) في النسخة (ي): «حصين».

قاتل مُلَيْل وبُجَيْر ابنَيْ أبي مُلَيْل، ومالك بن حِطّان وغيرهم فاقتلْه. قال: إني مُعيل وأنا أُحبّ اللبن. قالوا: إنّك تُفاديه فيعود فيَحْرُبُنا[1] مالنا، فأبى عليهم وسار به إلى بني عامر بن صَعْصَعة لئلّا يؤخذ فيُقتل، وإنّما قصد عامراً لأنّ عمّته خَوْلة بنت شِهاب كانت ناكحاً فيهم؛ فقال مالك بن نُوَيْرة[2] في ذلك:

لله عَتّاب بن ميّة[3] إذا رأى ... إلى ثأرنا في كفّه يتلدّدُ
أتُحيي امرأً أرْدى بُجَيْراً ومالكاً ... وأتْوَى[4] حُرَيْثاً[5] بعدما كان يقصدُ
ونحن ثأرنا قبل ذاك ابنَ أمّه ... غداةَ الكلابيّين والجمعُ يشهدُ

فلمّا توسّط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام: واشيباناه! ولا شيبان لي اليوم! فبعث إليه عامر بن الطّفَيْل: إن استطعتَ أن تلجأ إلى قبّتي فافعلْ فإنّي سأمنعك، وإن لم تستطع فاقذف نفسك في الرَّكيّ. فأتى عتيبةَ تابعُه من الجنّ فأخبره بذلك، فأمر ببيته فقُوِّض. فركب فرسه وأخذ سلاحه، ثمّ أتى مجلسَ بني جعفر، وفيه عامر بن الطفيل الغنويّ، فحيّاهم وقال: يا عامر قد بلغني الذي أرسلتَ به إلى بِسطام، فأنا مخيِّرُك فيه خصالاً ثلاثاً. فقال عامر: وما هي؟ قال: إن شئتَ فأعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك (حتّى أطلقه لك، فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك)[6] بشرّ[7] من خلعته وخلعة أهل بيته. فقال عامر: هذا لا سبيل إليه. قال عتيبة: ضع رِجْلك مكان رِجله، فلست عندي بشرٍّ منه. فقال: ما كنتُ لأفعل. قال عتيبة: تتبعني إذا جاوزت هذه الرابية، فتقارعني عنه على الموت. فقال عامر: هذه أبغضهنّ إليّ. فانصرف به عتيبة إلى بني عبيد بن ثعلبة، فرأى بسطام مركب أمّ عتيبة رثّاً فقال: يا عتيبة هذا رحْل أمّك؟ قال: نعم. قال: ما رأيتُ رحْل أمّ سيّدٍ قطّ مثلَ هذا. فقال عتيبة: واللاتِ والعُزّى لا أُطْلِقك حتّى تأتيني أمّك بحِدْجها[8]، وكان كبيراً ذا ثمنٍ كثير، وهذا الذي أراد بِسطام ليرغب فيه فلا يقتله. فأرسل بِسطام فأحضر حِدْج أمّه، وفادى نفسه بأربعمائة بعير.

---

(١) في النسخة (ي): «فتجيرننا».
(٢) هو شقيق متمّم بن نويرة، ومصادره هي مصادر أخيه. وكان مالك فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه. وقتله خالد بن الوليد في الردّة وتزوج امرأته. (الشعر والشعراء ١/٢٥٤، الخيل لابن الأعرابي ٥٢ و٦٣).
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «عمية»، وفي النسخة (ر): «مرة».
(٤) في الطبعة الأوربية «أشوى».
وأتوى فلاناً: أهلكه.
(٥) في الأصل، ونسخة جامعة اكسفورد ٣٩٠، والنسخة (ي): «جزينا»، والنسخة (ت): «حريبا».
(٦) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٧) في النسخة (ت): «ابشر»، وفي النسخة (ي): «أيسر».
(٨) الحِدْج: مركب للنساء كالمِحَفّة. (تاج العروس ٥/٤٦٩) وفي النسخة (ي): بهودجها.

وقيل: بألف بعير، وثلاثين فرساً، وهودج أمّه، وجِدْجها، وخلص من الأسر. فلمّا خلص من الأسر أذكى العيونَ على عُتيبة وإبله، فعادت إليه عيونهُ فأخبروه أنّها على أرباب[1]، فأغار عليها وأخذ الإبِل كلّها وما لهم معها.

(عُتَيْبة بالتاء فوقها نقطتان، والياء تحتها نقطتان ساكنة، وفي آخرها باء موحّدة).

يوم لشيبان على بني تميم

قال أبو عبيدة: خرج الأقرع بن حابس[2] وأخوه فِراس التميميّان، وهما الأقرعان، في بني مُجَاشع من تميم، وهما يريدان الغارةَ على بكر بن وائل، ومعهما البروك[3] أبو جعل، فلقيهم بِسطام بن قيس الشيبانيّ، وعِمران بن مُرّة، في بني بكر بن وائل بزُبالة، فاقتتلوا قتالاً شديداً ظفرت فيه بكر، وانهزمت تميم، وأُسر الأقرعان، وأبو جعل، وناس كثير، وافتدى الأقرعان نفسيهما من بِسطام، وعاهداه على إرسال الفداء، فأطلقهما، فبَعُدا ولم يرسلا شيئاً[4]. وكان في الأسرى إنسان من يربوع، فسمعه بِسطام بن قيس في الليل يقول:

فِدىً بوالدةٍ عليّ شفيقةٍ ... فكأنّها حَرَضٌ[5] على الأسقامِ
لَوْ أنّها علمتْ فيسكن جأشها ... أنّي سقطتُ على الفتى المنعامِ
إنّ الذي تَرْجِينَ ثَمّ إيابه ... سقط العِشاء به على بسطامِ
سقط العِشاء به على متنعّمٍ[6] ... سَمْحِ اليدَيْن معاوِدِ الإقدامِ

فلمّا سمع بِسطام ذلك منه قال له: وأبيك لا يخبر أمّك عنك غيرُك! وأطلقه.
وقال ابن رميض العنزيّ:

جاءتْ هدايا من الرحمان مُرْسَلة ... حتّى أُنيخت لَدَى أبيات بِسطامِ
جَيْش الهُذَيْل وجيش الأقرعين معاً ... وكُبّةُ الخيلِ والأذوادِ في عامِ
مسوّم خيله تَعْدُو مقانبُهُ ... على الذوائب من أولاد همّامِ

---

(١) في النسخة (ر): «اراب».
(٢) قيل إنّه أوّل من حرّم القمار في الجاهلية. (صبح الأعشى ١/٤٣٥) وهو فارس مشهور من فرسان تميم، ويُعدّ من حكام العرب. واتّصل حكمه في عكاظ إلى الإسلام. ويُعدّ من المؤلّفة قلوبهم من تميم. (الاشتقاق ١٤٦، المحبّر ١٣٤ و١٨٢ و٢٤٧ و٣٤٧).
(٣) في النسخة (ت): «الدول».
(٤) النقائض ٦٨٠، أيام العرب ٢٠٦.
(٥) في النسخة (ر): «حرص».
(٦) في النسختين (ب) و(ر): «متقمر».

وقال أوس بن حَجَر[1]:

وصَبّحنَا عارٌ طويلٌ بِناؤه ... نُسَبّ به ما لاح في الأفْقِ كَوكَبُ
لم أرَ يوماً كان أكثَرَ باكياً ... ووجهاً تُرَى فيه الكآبَةُ تَجْنُبُ[2]
أصابوا البَروكَ وابنَ حابِسَ عنوةً ... فظلّ لهم بالقاعِ يومٌ عَصَبْصَبُ
وإنّ أبا الصهباء في حَومةِ الوغى ... إذا ازورّتِ الأبطالُ ليثٌ مُجرَّبُ

وأبو الصهباء هو بسطاء بن قيس. وأكثر الشعراءُ في هذا اليوم في مدح بِسطام بن قيس، تركنا ذِكْرَه اختصاراً.

(حَجَر: بفتح الحاء والجيم).

يوم مبَائض[3]

وهو لشيبان على بني تميم.

قال أبو عُبيدة: حجّ طَريف بن تميم العنبريّ التميميّ، وكان رجلاً جسيماً يلقّب مُجَدّعاً، وهو فارس قومه، ولقيه حَمْصيصة[4] بن جَنْدل الشيبانيّ من بني أبي ربيعة، وهو شابّ قويّ شجاع، وهو يطوف بالبيت، فأطال النظر إليه، فقال له طَريف: لِمَ تشدّ نظرك إليّ؟ قال حَمْصِيصة: أريد أن أُثْبتك لعليّ أن ألقاك في جيش فأقتلك. فقال طَرِيف: اللهمّ لا تُحَوّلِ الحولَ حتّى ألقاه! ودعا حمصيصة مثله، فقال طَرِيف:

أوَ كُلّما وردتْ عُكَاظَ قبيلةٌ ... بعثوا إليّ عريفَهم يتوسّمُ
لا تُنْكِروني[5] إنّني أَنا ذَاكُمُ[6] ... شاكي السلاح وفي الحوادثِ مُعْلَمُ

---

(١) أوس بن حجر بن عتّاب. كان فحل مُضَر، بصيراً بالشعر، عاقلاً فيه، كثير الوصف لمكارم الأخلاق. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ١/١٣١، الأغاني ١١/٦٨، الموشّح ٦٣، خزانة الأدب للبغدادي ٢/٢٣٥، ديوان أوس بن حجر (نشره: جاير ـ فينّا ١٨٩٢، ود. محمد نجم ـ بيروت ١٩٦٠ م).

(٢) في النسخة (ي): «تحسب».

(٣) مُبَايض: بضم أوله. وبالياء أخت الواو، مكسورة، والضاد المعجمة. عَلَم وراء الدهناء. في منازل بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. ويقال: أُبايض، بالهمز. ويقال هو في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم. (معجم ما استعجم ٤/١١٧٩، وانظر عنه في: العقد الفريد ٥/٢٠٨، معجم البلدان ٥/٥١، نهاية الأرب ١٥/٣٩٤، معاهد التنصيص ١/٧١، أيام العرب ٢٠٨، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٦٩، الاشتقاق ١٣١، النقائض ١٠٢٤.

(٤) في العقد الفريد ٥/٢٠٨ «حصيصة»، وفي معجم ما استعجم ٤/١١٧٩ «جَمَصِيصَة»، ويقال: «حَمَصِيصة» بالحاء المهملة، وقيّد الميم بالتحريك.

(٥) في العقد الفريد ٥/٢٠٨ «فتوسّموني».

(٦) في الطبعة الأوربية «داء لكم». وفي العقد الفريد «ذلكم».

حـولي فـوارسُ مِن أسيـد شجعـة[1] ومِن الهُجَيْـم وحَـول بيـتي خُـضَّمُ
تَحْتي الأغـرُّ وفـوق جِلدي نَثْـرةٌ[2] زَغْفٌ[3] تـرُدّ السيفَ وَهْـوَ مـثلَّمُ[4]

في أبيات.

ثمّ إنّ بني أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان، وبني مُرّة بن ذُهْل بن شيبان كان بينهم شرّ وخصام، فاقتتلوا شيئاً من قتال، ولم يكن بينهم دم. فقـال هانىء بن مسعـود، رئيس بني أبي ربيعة، لقومـه: إنّي أكره أن يتفـاقم الشرّ بيننـا، فارتحـل بهم فنزل على مـاء يقال لـه مُبـائض، وهو قـريب من مياه بني تميم، فـأقامـوا عليه أشهـراً، وبلغ خبـرهم بني تميم، فـأرسل بعضهم إلى بعض وقـالوا: هـذا حيّ منفرد، وإن اصـطلمتمـوهم أوْهنتم بكـرَ بن وائل.

واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء: أبو الجَدْعاء الـطهويّ على بني حنـظلة، وابن فَـدْكى المِنْقريّ على بني سعـد، وطَريف بن تميم على بني عمـرو بن تميم. فلمّا قـاربوا بني أبي ربيعة بلغهم الخبر، فاستعدّوا للقتـال، فخطبهم هـانىء بن مسعود، وحثّهم على القتال، فقال: إذا أتوكم فقاتلوهم شيئاً من قتال، ثمّ انحـازوا عنهم، فإذا اشتغلوا بـالنهب فعودوا إليهم. فإنّكم تصيبون منهم حاجتكم.

وصبّحهم بنـو تميم والقوم حـذِرون، فاقتتلوا قتـالاً شديـداً، وفعلت بنـو شيبـان مـا أمرهم هانىء. فـاشتغلت تميم بالغنيمـة، ومرّ رجـل منهم بابنٍ لهـانىء بن مسعود صبيّ، فأخذه وقال: حسبي هذا من الغنيمة، وسار به، وبقيت تميم مع الغنيمـة والسبي. فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شـاءوا، ولم تُصَبْ تميم بمثلها؛ لم يفلت منهم إلّا القليـل، ولم يَلْوِ أحـد على أحـد، وانهـزم طـريف فـاتّبعـه حَمْصيصـة فقتله. واستردّت شيبان الأهلَ والمالَ، وأخذوا مع ذلـك ما كـان معهم، وفادى هـانىء بن مسعود

---

(١) في الأصـول، وطبعة صـادر ٦٠٢/١ «جَمّة»، ومـا أثبتنـاه عن النسخـة (ر)، فهـو يتفق مـع البيت المنسـوب لطريف برواية أخرى:

حـولـي فـوارس مـن أسـيـد شـجـعـة وإذا نـزلـت فـحـول بـيـتـي خـضـم

(العقد الفريد ٢٠٨/٥ الحاشية ٣) وانظر لسان العرب: مادّة الخضم.

والبيت في العقد هكذا:

حـولـي أُسَـيِّـدُ والـهُـجـيـم ومـازنٌ وإذا حـللتُ فـحـول بـيـتـي خَـضَّـم

(٢) النثرة: الدرع.

(٣) في النسخة (ر): «وغف»

والزغْف: اللينة الواسعة المحكمة من الدروع. وقيل: الدقيقة الحسنة السلاسل.

(٤) أنظر تقديماً وتأخيراً في البيتين الأخيرين في العقد الفريد ٢٠٨/٥.

ابنه بمائة بعير، وقال بعض شيبان في هذا اليوم:

ولقد دعوتَ طريفُ دعوةَ جاهلٍ ... غِرٍّ وأنتَ بمنظر لا[1] تُعْلَمُ[2]
وأتيتَ حيّاً في الحروب محلّهم ... والجيشُ باسم أبيهمُ يستهزمُ[3]
فوجدتَهم يرعون حول ديارهم ... بُسْلاً إذا حام الفوارسُ أقدمُوا[4]
وإذا اعتزَوْا بأبي ربيعة أقبلوا ... بكتيبة مثل النجوم تُلملمُ[5]
ساموك[6] درعك والأغرّ كِلَيْهما ... وبنو أُسيّدٍ أسْلموك وخُضّمُ[7]

وقال عمرو بن سواد يرثي طَرِيفاً:

لا تَبْعدَنْ يا خيرَ عمرو بن جندب ... لَعَمْري لَمن زار القبور لَيَبْعدا
عظيم رماد النار لا متعبّساً[8] ... ولا مُؤيِساً منها إذا هو أوقدا
وما كان وقّافاً إذا الخيل أجمحتْ ... وما كان مبطاناً[9] إذا ما تجرّدا

يوم الزُّوَيْرَيْن[10]

قال أبو عبيدة: كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم، فانتجعوا بلادَ تميم، بين اليمامة وهَجَر، فلمّا تدانوا جعلوا لا يلقى بكريٌّ تميمياً إلاّ قتله، ولا يلقى تميميٌّ بكريّاً إلاّ قتله، إذا أصاب أحدهُما مالَ الآخر أخذه، حتّى تفاقم الشرّ وعظم. فخرج الحَوْفزان بن شَريك، والوادك بن الحارث الشيبانيّان ليغيرا على بني دارم، فاتّفق أنّ تميماً في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير من عمرو بن حنظلة، والرِّباب، وسعد، وغيرها، وسارت إلى بكر بن وائل، وعلى تميم أبو الرئيس الحنظليّ. فبلغ خبرهم بكرَ بنَ وائل،

---

(١) في النسختين (ت) و(ر): «لو».
(٢) في العقد الفريد ٥/٢٠٩ ورد الشطر الثاني:
.... سفهاً وأنت بمعلم قد تعلمُ
(٣) في العقد ٥/٢١٠ «يُستقدم»، وفي نسخة أخرى منه كما هنا.
(٤) البيت في العقد ٥/٢١٠ هكذا:
فوجدت قوماً يمنعون ذِمارهم ... بُسْلاً إذا هاب الفوارسُ أقدموا
(٥) في العقد:
وإذا دُعُوا ابني ربيعة شمّروا ... بكتائبٍ دون السماء تُلَمْلَم
(٦) في العقد: «سلبوك».
(٧) في العقد: «وخَضَم».
(٨) في الطبعة الأوربية «متعبس».
(٩) في النسخة (ر): «مباطناً».
(١٠) أنظر عنه في: العقد الفريد ٥/٢٠٤، لسان العرب ٤/٣٣٧، نهاية الأرب ١٥/٣٩١، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٦٩، ٣٧٠.

فتقدّموا، وعليهم الأصمّ عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق، وحنظلة بن سيّار[1] العِجْليّ، وحُمْران بن عبد عَمرو العبسيّ، فلمّا التقوا جعلت تميم والرباب بعيرَيْن وجلّلوهما، وجعلوا عندهما منْ يحفظهما، وتركوهما بين الصفّيْن معقولَيْن، وسمّوهما زُوَيْرَيْن، يعني: إلهَيْن، وقالوا: لا نفرّ حتّى يفرّ هذان البعيران. فلمّا رأى أبو مفروق البعيرَيْن سأل عنهما فأُعلم حالهما، فقال: أنا زُوَيْركم، وبرك بين الصفّيْن وقال: قاتلوا عنّي ولا تفرّوا حتّى أفرّ. فاقتتل الناسُ قتالاً شديداً، فوصلت شيبان إلى البعيرَيْن فأخذوهما فذبحوهما. واشتدّ القتال عليهما. فانهزمتْ تميم، وقُتل أبو الرئيس مقدّمهم، ومعه بشر كثير، واجترفت بكر أموالهم ونساءهم، وأسروا أسرى كثيرة، ووصل الحَوْفزان إلى النساء والأموال، وقد سار الرجال عنها للقتال، فأخذ جميع ما خلّفوه من النساء والأموال، وعاد إلى أصحابه سالماً؛ وقال الأعشى[2] في ذلك اليوم:

يا سَلْمَ لا تسألي عنّا فَلاَ كُشِفَتْ ... عند اللقاء ولا سود مقَاريف[3]
نحن الذين هزمنا يومَ صبّحنا ... يومَ[4] الزّويرَيْن في جمع الأحاليفِ
ظلّوا وظلّت[5] تكرّ الخيلُ وسطهُمُ ... بالشّيب منّا وبالمُرْد الغطاريفِ[6]
تَسْتأنس الشرف الأعلى بأعْيُنها ... لَمْحَ الصقور علتْ فوق الأظاليفِ
انسلّ عنها بسَيل الصّيْفِ فانجردت ... تحت اللُّبُودِ متونٌ كالزحاليفِ

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم، لاسيّما الأغلب العِجْليّ[7]، فمن ذلك أرجوزته التي أوّلها:

إنْ سَرَّكَ العزُّ فجحْجِحْ بجُشَمْ[8] يقول فيها:

(١) في النسخ (ب) و(ت) و(ر) و(ي): «يسار» وهو وهم.
(٢) الأبيات غير موجودة في ديوانه. وينسبهما ابن عبد ربّه الأندلسي، والنويري إلى رجل من بني سَدُوسَ.
(٣) البيت في العقد الفريد ٢٠٦/٥.
يا سَلْم إن تسألي عنّا فلا كُشُفٌ ... عنا اللقاء ولسنا بالمقاريف
وهو مثله في نهاية الأرب ٣٩٢/١٥.
(٤) في نهاية الأرب ٣٩٣/١٥: «جيش».
(٥) في نهاية الأرب «وظلنا»، وكذلك في العقد الفريد.
(٦) إلى هنا تنتهي الأبيات في العقد الفريد، ونهاية الأرب.
(٧) هو الأغلب بن جُشَم بن سعد. أحد المعمَّرين، عُمِّر في الجاهلية عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحسُن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فنزلها، واستشهد في وقعة بنهاوند. ويقال إنّه أول من رجّز الأراجيز الطوال من العرب. (الأغاني ٢٩/٢١، الشعر والشعراء ٥١١/٢، السمط ٨٠١، أسد الغابة ١٠٥/١، الإصابة ٥٦/١، خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٢/١، طبقات الشعراء لابن سلام ٥٧١).
(٨) الشعر والشعراء ٥١١/٢ وفي طبعة صادر ٦٠٥/١ «بحشم» بالحاء المهملة.

جاؤوا بزْويرَيْهم[1] وجئنا بالأصمْ   شيخ لنا كالليثِ من باقي إرَم[2]
شيخٌ لنا معاودٌ ضَرْبَ البُهْمْ[3]   يضرب بالسيف إذا الرمح انقصمْ
هل غيرُ غارٍ صَكَّ[4] غاراً فانهزمْ

الغاران: بكر وتميم.

وله الأرجوزة التي أوّلها:

يا رُبَّ حربٍ ثَرَّة[5] الأخْلافِ

يذكر فيها هذا اليوم.

ذِكْر أسر حاتم طَيّء[6]

قال أبو عبيدة: أغار حاتم طيّء بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم، وانهزمت طيّء وقُتل منهم وأُسر جماعة كثيرة، وكان في الأسرى حاتم بن عبد الله الطّائيّ، فبقي موثقاً عند رجل من عُنَيْزة، فأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له: افصدْ هذه، فنحرها، فلمّا رأتها منحورة صرخت، فقال حاتم:

عاليَ لا تلتدّ من[7] عالِيَهْ   إنّ الذي أهلكتُ من ماليهْ
إنّ ابنَ أسماء لكم ضامن   حتّى يُؤدّي آنِسٌ ناويَهْ
لا أفصد الناقة في أنْفها   لكنّني أُوجرها العاليَهْ
إنّي عن الفصْد لفي مفخر   يكره منّي المِفْصد الآليَهْ
والخيل إن شمَّص فرسانها   تذكر عند الموت أمثاليَهْ[8]

وقال رُمَيْض العَنَزيّ يفتخر:

---

(١) في العقد الفريد: «بزويرهم».

(٢) ورد هذا الشطر في العقد:

شيخ لنا قد كان من عهد إرَمْ

والمثبت يتفق مع لسان العرب (مادّة زور).

(٣) في الطبعة الأوربية «إليهم».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «يك».

(٥) في النسخة (ب): «ترى»، وفي النسخة (ي): «ترا».

(٦) هو المشهور بالجود والكرم. كان شاعراً جيّد الشعر. يُضرب المثل بجوده. أنظر عنه: الأغاني ٢٦٣/١٧، الشعر والشعراء ١٦٤/١، مروج الذهب ٣٢٧/٣، شرح شواهد المغني ٧٠، تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٣، الشريشي ٣٣٢/٢، خزانة الأدب ٤٩٤/١، ديوان حاتم ـ طبعة لندن ١٨٧٢ وطبعة الوهبية بمصر ١٢٩٣، ثمار القلوب ٩٧ ـ ٩٩ و١١٧.

(٧) في النسخة (ر): «تلندمى».

(٨) البيت في النسخة (ر)، وجملة الأبيات ليست في ديوان حاتم الطائي.

ونحن أسرنا حاتماً وابنَ ظالم فكلٌّ ثوى في قَيدنا وَهْوَ يخشعُ
وكعبَ إياد قد أسرنا وبعده أسرنا أبا حسّان والخيلُ تطمعُ
ورَيّان[1] غادرَنا بِوَجٍّ[2] كأنّه وأشياعه فيها صريمٌ[3] مصرَّعُ

وقال يحيى بن منصور الذُّهْليّ[4] قصيدةً يفتخر بأيّام قومه، وهي طويلة، وفيها آداب حسنة، تركناها كراهيةَ التطويل، وأوّلُها:

أمِنْ عرفانَ منزلةٌ ودارٌ تُعاوِرها البوارح والسواري

وقال أبو عبيدة: جاء الإسلام وليس في العرب[5] أحدٌ أعزّ داراً، ولا أمنع جاراً، ولا أكثر حليفاً من شيبان.

كانت عنينة[6] من لخم في الأحْلاف.

وكانت درمكة بن كِندة في بني هند.

وكانت عكرمة من طيّء، وحَوْتكة من عُذرة، وبُنانَةُ كلّ هؤلاء في بني الحارث بن هَمّام.

وكانت عائذةُ من قريش، وضَبّة وحواس من كِنْدة، هؤلاء في بني أبي ربيعة.

وكانت سُلَيمة من بني عبد القيس في بني أسعد بن هَمّام.

وكانت وثيلة من ثعلبة، وبنو خيْبريّ من طيّء في بني تميم بن شيبان.

وكانت عوف بن حارث من كِندة في بني مُحَلّم.

كلّ هذه قبائل وبطون جاورت شيبان، فعزّت بها وكثُرَت.

---

(١) في النسخة (ر): «ذبيان».
(٢) وفي نسخة «يبرح».
وَجّ: بالفتح ثم التشديد. وهو الطائف. (معجم البلدان ٥/٣٦١).
(٣) في النسخة (ب): «صريمة».
(٤) في النسخة (ي): «الديلي».
(٥) في النسخة (ي): «الإسلام».
(٦) في النسختين (ت) و(ر): «عسب»، وفي النسخة (ب): «غنيم».

يوم مُسْحُلان[1]

قال أبو عُبيدة: غزا رُبيْع[2] بن زياد الكلبيّ في جيش من قومه، فلقي جيشاً لبني شيبان، عامّتهم بنو أبي ربيعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وذلك يوم مُسْحُلان، وأسروا ناساً كثيراً، وأخذوا ما كان معهم.

وكان رئيس شيبان يومئذ حيّان بن عبد الله بن قيس المُحَلّميّ.

وقيل: كان رئيسهم زِياد بن مَرْثد من بني أبي ربيعة، فقال شاعرهم:

سائلْ ربيعةَ حيث حلّ بجيشهِ ... مع[3] الحيّ كلبُ حيث لبّتْ فوارسُهْ
عشيّةَ وَلّى جمعهم فتتابعوا ... فصار إلينا نهبُه وعوانسُهْ

ثمّ إنّ الرُبَيع بن زياد الكلبيّ نافر قومه وحاربهم فهزموه. فاعتزلهم وسار حتّى حلّ ببني شيبان، فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة، فقتله بنو أسعد[4] بن هَمّام، ثمّ إنّ شيبانَ حملوا دِيته إلى كلب مائتيْ بعير، فرضوا.

حرب لسُلَيم وشيبان

قال أبو عُبيدة: خرج جيش لبني سُلَيم، عليهم النَّصيبُ السُّلَميّ، وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل. فلقِيَهم رجلٌ من بني شيبان اسمه صُلَيْع[5] بن عبد غَنْم، وهو مُحْرِم على فرس له يسمّى البحراء[6]، فقال لهم: أين تذهبون؟ قالوا: نريد الغارة على بني شيبان. فقال لهم: مهلاً فإنّي لكم ناصح، وإيّاكم وبني شيبان، فإنّي أقسم لكم بالله لتأتينّكم على ثلاثمائة فرس خصيّ، سوى الفحول والإناث. فأبوا إلاّ الغارةَ عليهم، فدفع صُلَيْع فرسه ركضاً حتّى أتى قومَه فأنذرهم. فركبتْ شيبان واستعدّوا، فأتاهم بنو سُلَيْم وهم مُعِدّون فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت شيبان وانهزمت سُلَيم وقُتل منهم مقتلة كثيرة وأُسر منهم ناس كثير، ولم ينج إلاّ القليل، وأُسر النصيب رئيسهم، أسره عِمْران بن مُرّة الشيبانيّ فضرب رقبته، فقال صُلَيْع:

---

(١) مُسْحُلان: بالضم ثم السكون ثم حاء مهملة مضمومة. وادٍ من أودية أُوْد. (معجم ما استعجم ٤/١٢٢٤) وأوْد: موضع ببلاد بني مازن. وقيل غير ذلك. أنظر المعجم ١/٢٠٩).

(٢) في طبعة صادر ١/٦٠٨ «ربيعة»، والصحيح «الربيع»، وسيأتي.

(٣) في النسخة (ي): «من».

(٤) في النسخة (ي): «سعد».

(٥) في النسخة (ر): «ضليع».

(٦) في النسخة (ب): «يقال له ناصح».

نهيتُ بني زِغْـل غـداةَ لقيتُهم وجيشَ نصيب والـظنـونُ تُـطاعُ
وقلتُ لهم: إنّ الحـريب وراكسـاً بـه نَـعَم تـرعـى المـرارَ رتـاعُ[1]
ولَكنّ فيه الموت يـرتعُ سـربه وحُـقّ لهـم أن يقبـلوا ويـطاعـوا
متى تـأتِـهِ تلقى على الماء حـارثـاً وجيشـاً لـه يـوفي بكـلّ بقـاعِ[2]

يوم جَدُود[3]

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني مِنْقر من تميم.

وكان من حديثه أن الحَوْفزان، واسمه الحارث بن شَريك الشيبانيّ، كانت بينه وبين بني سَليط بن يربوع مُوادعة، فهمّ بالغدر بهم، وجمع بني شيبان وذُهْلاً واللهازم، وعليهم حُمْران بن عبد عمرو بن بِشْر بن عمرو. ثمّ غزا وهو يرجو أن يصيب غِرّة من بني يـربوع. فلمّا انتهى إلى بني يربوع نَذِرَ به عُتَيْبة بن الحارث بن شهاب، فنـادى في قومـه، فحالـوا بين الحَوْفزان وبين الماء، وقال لعُتيبة: إنّي لا أرى معك إلاّ رهطك، وأنا في طوائف من بني بكر، فلئن ظفرتُ بكم قلّ عددُكم وطمع فيكم عدوّكم، ولئن ظفرتم بي ما تقتلون إلاّ أقاصي عشيرتي، ومـا إيّاكم أردتُ، فهـل لكم أن تسالمونا وتـأخذوا مـا معنا من التمـر، ووالله لا نروع يربوعاً أبداً. فأخذ ما معهم من التمر وخلّى سبيلهم.

فسارت بكر حتّى أغاروا على بني رُبَيْع بن الحارث، وهو مقـاعس، بجَدُود، وإنّمـا سُمّي مقاعساً لأنّه تقاعس عن حِلْفِ بني سعـد، فأغـار عليهم وهم خلوفُ، فأصـاب سبياً ونَعمـاً، فبعث بنـو ربيـع صـريخهم إلى بني كُلَيْب، فلم يجيبـوهم، فـأتى الصـريـخ بني مِنْقَر بن عبيد، فركبوا في الطلب، فلحقوا بكر بن وائل، وهم مقاتلون، فما شَعَرَ الحَوْفزان وهو في ظلّ شجرة إلاّ بالأهْتم بن سُمَيّ بن سِنان المِنْقريّ واقفاً على رأسه، فركب فرسه، فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحـوفزان: يـا آل وائل! ولحِق بنـو مِنْقر، فقـاتلوا قتالاً شديداً، فهُزمت بكر وخلّوا السبي والأموال، وتبِعهم منقر، فمِنْ قتيل وأسير، وأسر الأهتمُ حُمْرَانَ بن عبد عمرو، ولم يكن لقيس بن عاصم المنقريّ همّـة إلاّ الحوفزان، فتبعه على

---

(١) هذا البيت ليس في النسخة (ر).

(٢) أنظر حول علاقة سُلَيم ببني شيبان في دراسة محمود عبد الله إبراهيم العبيدي بعنوان: بنو شيبـان ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي ـ طبعة وزارة الثقافة ـ بغداد ١٩٨٤ ـ ص ١٠٦.

(٣) جَدُود: بالفتح. اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حَزْن بني يربـوع على سمت اليمامـة. فيه المـاء الذي يقال له الكلاب. (معجم البلدان ٢/ ١١٤) وقال البكري: اسم ماء في ديـار بني سعد من بني تميم. (معجم ما استعجم ٢/٣٧٢).

وانظر عن يوم جدود: العقد الفريد ٥/١٩٩ ـ ٢٠١، نهاية الأرب ١٥/ ٣٨٩، ٣٩٠.

مهر، والحوفزانُ على فرس فارج[1]، فلم يلحقه وقد قاربه، فلمّا خاف أن يفوته حفزه بالرمح في ظهره، فاحتفز بالطعنة ونجا، فسُمّي يومئذ الحوفزان، وقيل غير هذا.

وقال الأهتم[2] في أسرة حُمْران:

نِيطتْ[3] بحمرانَ المنيّةُ بعْدما ... حَشاه سِنان من شُراعة أزرقُ
دعا يالَ قيسٍ واعتزيتُ لمِنْقَر ... وكنتُ إذا لاقيتُ في الخيل أصدقُ

وقال سَوّار بن حيّان المِنْقريّ يفتخر على رجل من بكر:

ونحن حَفَزْنا الحَوْفزان بطعنةٍ ... كسْته[4] نجيعاً من دم البطنِ[5] أشكلا
وحُمْران قَسْراً أنزلَتْه رماحُنَا ... فعالج غُلّاً في ذراعَيْه مُثْقِلا
فيا لك من أيّام صِدْقٍ نَعُدّها ... كيوم جُوَاثا والنِّباجِ ونَيْتلا[6]
قضى الله أنّا يومَ تُقْتَسَمُ العُلى ... أحَقُّ بها منكم فأعْطى فأجْزلا
فلستَ بمستطيع السماء ولم تجد ... لعِزٍّ بناه الله فوقك مَنْقلا

(مِنْقر: بكسر الميم، وسكون النون، وفتح القاف.

ورُبَيْع بضمّ الراء، وفتح الباء الموحّدة).

---

(١) في النسخة (ب): «مارح».
(٢) هو الأهتم بن سميّ المنقري.
(٣) في النسختين (ر) و (ي) والأصل، ونسخة جامعة أكسفورد ٣٩٠ ورقة ٨٩ «نمطت».
(٤) في العقد الفريد ٥/٢٠١ «تمُجّ»، وفي لسان العرب (حفز): «سقته». وقد نسب البيت لجرير.
(٥) في العقد، ولسان العرب «الجوف».
(٦) في طبعة صادر ٦١١/١ «نبتلا»، وقد نبّه إلى الخطأ في آخر الجزء ـ ص ٦٨٧.